ذكر ماوقع بين عسكر المحروسة القاهرة

(سنة ١١٢٣ هـ = ١٧١١م)

تأليف

الشيخ علي بن محمد الشاذلي الفرا

تحقيق

الدكتور عبد القادر أحمد طليمات

مقـــدمة

قضى السلطان العثماني سليم الأول في وقعة مرج دابق سنة ١٥١٥ على حكم السلاطين المماليك في الشام بانتصاره على السلطان الغورى الذى مات في ميدان القتال ، كما قضى على حكمهم في مصر بانتصاره على طومانباى الذى تزعم حركة المقاومة المملوكية في القاهرة وقتله في سنة ١٥١٧ ، وبذلك استتب الأمر للسلطان سليم في الإقليمين معاً ، وأصبحت مصر منذ ذاك ولاية عثمانية .

وأخذ السلطان سليم يعمل على التخلص من كبار الأمراء المماليك الذين اشتركوا مع طومانباى في حركة المقاومة ، فأخذ يتصيدهم حيثما ثقفهم ، حتى إذا اطمأن إلى أنه قضى على رؤسهم ولم يبق إلا ضعافهم ممن لا يخشى بأسه ، أعلن العفو العام عنهم ، فظهروا من مخابئهم وأعلنوا ولاءهم له .

ولما عزم السلطان سليم على العودة إلى بلاده ، وضع مقاليد أمور مصر في أيدى هؤلاء الأمراء حتى أنه جعل أحدهم نائباً له في مصر هو خاير بك مكافأة له لخيانته للسلطان الغورى ومعاونته له — للسلطان سليم — في فتح مصر ، فسمى المصريون خاير بك « خاين بك » رمزاً لخيانته . ووضع السلطان حامية عسكرية عثمانية تقيم في القاهرة لمعاونته . وظل حكم مصر في أيدى الأمراء المماليك البكوات ، حتى قضى عليهم محمد على فى شهر مارس سنة ١١٨١ ، ولم يتغير من الأمر شيء طوال مدة الحكم العثماني ، سوى أن النائب العثماني كان عثمانياً يأتي من الأستانة بعد وفاة خاير بك .

وكان الأمراء البكوات في بادىء الأمر ضعافاً لا حول لهم ولا قوة ، لكنهم ما لبثوا أن جمعوا القوة في أيديهم ، وظهر من بينهم أميران كبيران هما : قاسم بك الكبير ، وذو الفقار بك الدفتردار ، وجمع كل منهما حوله عصبية كبيرة ، وقد عرفت العصبيتان بالبيت القاسمى — نسبة إلى قاسم بك ، وبالبيت الفقارى — نسبة إلى ذى الفقار بك ، وبدلاً من أن يستغل البيتان قوتهما في التخلص من الحكم العثماني ، أخذا يتنافسان على الزعامة والسيادة

وكثيراً ما كانت المنافسة تتحول إلى قتال تشترك فيه الحامية العسكرية العثمانية منقسمة هي الأخرى على نفسها ، قسم يؤيد البيت القاسمى ، والقسم الآخر ينتصر للبيت الفقارى .

كذلك تفرعت عن هاتين العصبيتين ، عصبيات أخرى من أبنائها بعد أن مات رؤساؤها الكبار ، فكانت هذه العصبيات الصغيرة دائمة النزاع فيما بينها ، تحاول كل منها احتجان الزعامة لنفسها ، حتى أن عصبيات البيت الواحد انقسمت على نفسها ، وأخذت تحارب بعضها بعضاً .

أما الحامية العثمانية المرابطة في القاهرة ، فقد كانت تشملها الفوضى ، فقد كانت تتكون من عدة فرق مختلفة الجنسيات ، فكان التنافس على زعامة الفرق لا ينقطع ، كذلك كان التنافس في الفرقة الواحدة على زعامتها مستمراً ، وكثيراً ما أدى التنافس إلى قتال مرير .

أما النائب العثماني ، فقد كان في بداية الحكم العثماني قوياً وله سطوته ونفوذه ، ولكن قوته أخذت في الضعف بظهور قوة الأمراء وتدخل قواد الحامية ، وكثيراً ماعزل الأمراء وعزلت الحامية النواب العثمانيين واعتقلوهم ، فيضطر السلطان إلى إرسال نائب آخر يحل محل النائب المعزول ، دون أى اعتراض منه على عزل نائبه بغير إرادته أو مشورته .

وتحدثنا مصادر تاريخ مصر في العصر العثماني عن عشرات الفتن والحروب سواء تلك التى كانت تنشب بين الأمراء وبعضهم بعضاً ، أو تلك التى تشتعل بين فرق الحامية ، وعما كان يحدث لمصر — في عاصمتها القاهرة وأريافها — من التخريب والتدمير والسلب والنهب .

والمخطوط الذى نخرجه اليوم مطبوعاً ، يتحدث فيه صاحبه ، الشيخ على الشاذلى ، عن فتنة بشعة حدثت في سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) تحولت إلى قتال دار رحاه في شوارع القاهرة وأزقتها وحاراتها وضواحيها ، وظل القتال دائراً سبعين يوماً كاملة .

وقد عاصر الشيخ على الشاذلى هذه الفتنة ومسته أضرارها وأذاها ، فسجل حوادثها تسجيل شاهد عيان ، وانفعل مع أحداثها الدامية ، فنفس عن

انفعالاته بالتعليق والدعاء . وقد أعطانا المؤلف من خلال وصفه لأحداث الفتنة صورة صادقة لما حدث ، تؤيده — فيما دون — مصادر أخرى معاصرة ومتأخرة .

والمخطوط الذى ننشره اليوم ، واحد من مخطوطات كثيرة ، دوّن أصحابها فيها فتناً وحروباً في أزمنة متفاوتة — كل في عصره — نرجو أن يسعفنا العمر في نشرها أو نشر بعضها .

وبعد ؛ فأجد لزاماً عليَّ أن أقدم خالص الشكر لأستاذى الجليل الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ، مدير جامعة عين شمس ، ورئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، أولاً : لتوجيهاته القيمة التى كان لها الفضل في إخراج المخطوط بصورته الحالية ، وثانياً : لإفساحه صدر المجلة لنشره فيها .

والله نسأل العون والتوفيق .

مصر الجديدة { ذو القعدة سنة ١٣٨٧ هـ
مارس سنة ١٩٦٨ م

د . عبد القادر أحمد طليمات

دراسة على المؤلف والمخطوط

(أ) — المؤلف

الشيخ على الشاذلى الفرا

(توفى عام ١١٩٥ هـ = ١٧٨٠ م)

ذكر المؤلف اسمه في ختام مخطوطه بأنه على الشاذلى الفرا ، ولكن الجبرتي ذكره في ترجمته له في وفيات سنة ١١٩٥ هـ ، بأنه على بن محمد الحباك الشافعى الشاذلى[(١)] . ولعل لفظ « الحباك » الذى ذكره الجبرتي ، إشارة إلى صناعة والد المؤلف وهى صناعة حباك الخيوط . أما لفظ « الفرا » الذى ذكره المؤلف ، فلعله إشارة إلى تجارة أو صناعة تجهيز الفراء ، التى — ربما — كان يمتهنها المؤلف نفسه ، على عادة بعض العلماء المسلمين في جمعهم بين العلم والتجارة أو الحرف أو الصناعة .

* * *

وتاريخ مولد المؤلف مجهول ، ونحن نرجح أنه ولد في مطلع القرن الثاني عشر الهجرى (أواخر القرن السابع عشر الميلادى) ، وذلك لأن الفتنة التى دون أخبارها حدثت في سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) وقد دونها بعد انتهائها مباشرة ، فنحن نقدر أنه تجاوز العشرين من عمره في تلك السنة ، أى أنه كان ناضج الذهن ، يستطيع أن يفهم ويستوعب ما يجرى حوله من أحداث .

أما وفاته ، فقد كانت في يوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر شعبان سنة ١١٩٥ هـ[(٢)] (١٧٨٠ م) .

* * *

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، ٢ ص ٢٩ ، ٧١

(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ٢ ص ٧١

وثقافة الشاذلى ثقافة دينية أدبية ، فقد تفقه على الشيخ عيسى بن أحمد البراوى المتوفي سنة ١١٨٢ هـ (١٧٦٨ م) . ولعل الشاذلى درس على الشيخ البراوى غير الفقه ، كالنحو والحديث ، فقد كان الشيخ البراوى ، فقيهاً نحوياً أصولياً محدثاً[١] .

وكان الشاذلى على درجة كبيرة من الثقافة العلمية والأدبية ، بحيث كان يجالس كبار علماء عصره ويناقشهم ويناظرهم ، أمثال الإمام القطب وجيه الدين أبي المراحم عبد الرحمن الحسيني العلوى العيدروسى ، المتوفي سنة ١١٩٣ هـ (١٧٧٨ م) . فقد كان وجيه الدين ذا مكانة علمية رفيعة ، بحيث كان علماء عصره يتهافتون على مجالسه ويأخذون عنه العلم . يقول الجبرتي عن وجيه الدين : إنه عندما دخل مصر سنة ١١٥٨ هـ (١٧٤٥ م) : « هرعت إليه أكابر مصر من العلماء والصلحاء وأرباب السجاجيد والأمراء ، وصارت له معهم المطارحات والمذاكرات » . ولما ترك وجيه الدين مصر سنة ١١٥٩ هـ ، ثم عاد إليها سنة ١١٧٤ (١٧٦٠ م) : « هرعت إليه الفضلاء للأخذ والتلقى ، وتلقى هو عن كل من الشيخ الملوى والجوهرى والحفنى وأخيه يوسف ، وهم تلقوا عنه تبركاً ، وصار أوحد وقته حالاً وقالاً مع تنويه الفضلاء به ، وخضعت له أكابر الأمراء على اختلاف طبقاتهم .... واجتمع بالسيد على الشاذلى،وكل منهما أخذ عن صاحبه»[٢] . فكان الشيخ على الشاذلى إذن ، يعد من كبار العلماء بحيث كان وجيه الدين — على جلالة قدره — يأخذ عنهُ العلم .

أما ثقافة الشيخ على الشاذلى الأدبية فيدل عليها أسلوبه في كتابه واستشهاده كثيراً بالشعر مما يدل على وفرة محصوله منه ، كذلك يذكر الجبرتي ، أنه كان « طارحاً للنكات » ، ومطارحة النكات لا يحسنها إلا الأديب غزير الإطلاع . وعلى هذا يمكن القول ، بأن الشاذلى كان يشترك في المساجلات الأدبية التى كانت تدور في الندوات بين أدباء عصره ، فكان يضفى على هذه الندوات جواً من المرح والبهجة ، خاصة وأنه كان معروفاً بحسن العشرة

---

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ١ ص ٣١٢
(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ٢ ص ٢٧ — ٣٥

ولطف المحاورة والتواضع . كذلك يمكن القول ، بأن الشاذلى كان يتمتع بمكانة عالية عند معاصريه من أهل العلم والأدب ، أكبر مما صورها الجبرتي في ترجمته القصيرة له(١) .

* * *

ولا نعرف عن حياة المؤلف العملية ، سوى أنه كان إماماً لإحدى الزوايا بقلعة الجبل .

* * *

وكان الشيخ على الشاذلى ، رجلاً متصوفاً على الطريقة الشاذلية . وقد أخذ الطريقة عن الشيخ محمد كشك وانتسب إليه . ولما توفي الشيخ محمد كشك ، تولى الشاذلى مشيخة الطريقة ، فسار في المشيخة سيرة حسنة أرضى فيها المريدين ، كذلك صار له مريدون وأتباع يختصون به ويلتفون حوله غير أتباع شيخه .

* * *

ولا نعلم أن للشيخ على الشاذلى مؤلفات غير هذا الكتاب الذى ننشره اليوم .

ويتناول الكتاب أخبار فتنة دموية دارت رحاها بين فرق الحامية العثمانية المرابطة في مصر ، استمرت سبعين يوماً من عام ١١٢٣ ﻫ (١٧١١ م) عاصرها المؤلف ، وشاهد حوادثها بنفسه ، وتتبع تطوراتها منذ أن كانت في مبدإ أمرها خلافاً كلامياً حتى تطور الخلاف إلى حرب قاتلة .

* * *

(١) ترجم الجبرتى للشاذلى (جـ ٢ ص ٧١ ، سنة ١١٩٥) فقال : « ومات الفاضل الصالح الشيخ على بن محمد الحباك الشافعى الشاذلى ، تفقه على الشيخ عيسى البراوى وبه تخرج . وأخذ الطريقة الشاذلية عن الشيخ محمد كشك واليه انتسب . ولما توفى جعل شيخا على المريدين وسار فيهم سيرا مليحا . وكان يصلى اماما بزاوية بقلعة الجبل . وكان شيخا حسن العشرة ، لطيف المحاورة ، طارحا للنكات ، متواضعا . وقد صار له مريدون وأتباع خاصة غير أتباع شيخه . توفى فى يوم الاثنين ثالث عشرين شعبان من السنة » .

ويؤكد معاصرة المؤلف لهذه الحرب ، وتدوينه أخبارها وقت حدوثها ، قوله بعد وصفه ضرب المتحاربين بعضهم بعضاً بالبنادق ، « وليس الخبر كالعيان » . وقوله بعد وصفه إحدى المعارك : « ... وكانت ليلة مشئومة على أهل مصر ، حتى ظننا أن الأرض تنخسف بنا ، فيا لها من ليلة ما أصعبها وأشدها » ، ومثل دعائه : « فالله يفرج عنا هذه المهالك » ، ثم قوله في نهاية المخطوط : « ثم جاءت لنا المكاتيب بالأخبار ، بتولية الوزير على الديار ، وهو الوزير ولى باشا ، أعطاه الله ماشا ... » .

* * *

أما نسبة المخطوط إلى الشيخ على الشاذلى ، يؤكده قوله في ختام المخطوط : « قال ذلك بلسانه الحقير في عيون القرا ، الفقير على الشاذلى الفرا ... » .

* * *

وسبب الفتنة كما يتضح لقارىء كتاب الشاذلى ، هو المنافسة على النفوذ والسلطان بين ضباط أوجاق (فرقة) الإنكشارية ، أحد أوجاقات الحامية العثمانية في مصر .

أما مثيرها ، فهو ضابط في هذا الأوجاق ، هو افرنج أحمد أوضاباشا فقد أراد هذا الضابط أن يسيطر على الأوجاق كله ، وأن يبسط نفوذه وسلطانه على أقرانه من ضباط الأوجاق ، فعارضه بعضهم وأبوا عليه ما أراد ، فدب النزاع بينهم ، ولكنه انتصر عليهم واستصدر مرسوماً من الوالى العثمانى بنفيهم من القاهرة . ثم عاد المنفيون بعد مدة وأرادوا الإلتحاق بأوجاقهم ولكن افرنج أحمد عارض في ذلك ، فلجأوا إلى أوجاق العزب ، (أو عزبان) — وهو منافس لأوجاق الإنكشارية — وطلبوا من ضباطه أن يكونوا الواسطة بينهم وبين خصمهم إفرنج أحمد في عودتهم إلى أوجاقهم ، فلبى ضباط الأوجاق طلبهم ، ولكنهم فشلوا في وساطتهم ، إذ أصر إفرنج أحمد على موقفه من خصومه ، الأمر الذى أغضب ضباط العزب فوقفوا ضده ، وانتصروا لغرمائه . فلما رأى الأمراء المسئولون ، أن الخلاف اتسع اتساعاً يخشى منه نشوب القتال بين الأوجاقين ، تدخلوا لفض النزاع بين إفرنج أحمد وخصومه

من ناحية ، ثم بين الأوجاقين من ناحية أخرى ، ولكن إصرار المتنازعين جميعاً كل على موقفه ، اضطر الأمراء إلى التدخل بصفة جدية ، فجرفهم تيار النزاع وأصبحوا أطرافاً فيه . وقد أدى تدخل أوجاق العزب والأمراء في النزاع إلى انقسام الأمراء وأوجاقات الحامية قسمين : قسم يؤيد إفرنج أحمد ، والقسم الآخر يؤيد خصومه ، ثم تحول النزاع الكلامى إلى حرب دموية استمرت سبعين يوماً .

وكانت الحرب عنيفة قاسية ، نتج عنها أهوال ذاق المصريون — وبخاصة سكان القاهرة — مرارتها ؛ فقد بدأت الحرب وسط أحياء القاهرة الآهلة بالسكان ، فهدمت بيوتهم ، واحترق متاعهم ، ونهبت أموالهم ، وسقط منهم قتلى وجرحى ، وأسقطت الحوامل حملها من الفزع والرعب ، من قصف المدافع ، ودوى القنابل ، وأزيز الرصاص ، ولهب الحريق ، فضلاً عن إغلاق الأسواق ، وتعطيل المتاجر ، وانقطاع جلب الماء من النيل للشرب ، فانقطعت عن الناس أرزاقهم ، وضاقت عليهم سبل معايشهم .

وقد وصف الشاذلى كل هذا بأسلوبه الممتع وصف شاهد عيان ، نقتطف هنا بعض ما ذكره ، فقال يصف ما حدث في حى القلعة وما يجاوره يوم أن بدأ القتال بين المتحاربين : « ... وكان يوماً لم ثر أهل مصر مثله ، وحصل لهم من الدهوة العظمى ما يكل عنه الواصف ، وأسقطت الحبالى من ضرب ضرب المدافع ، وماتت الأطفال والرجال ، وهدمت البيوت من الجُلل ، وقفلت أهل مصر الأزقا والحوانيت والدروب ، وصار الناس متحيرين أين يذهبون » .

ويقول في مكان آخر : « ... ثم لما كان يوم السبت ، ابتدؤا بالضرب يوماً كاملاً ، فلا تسل عما فعلت المدافع ، فإنها زلزلت الأرض ، وأفزعت القلوب ، وأدهشت العقول ، وزعقت النساء والأطفال ، واستغاثت إلى ربها بالدعاء على من كان سبباً لهذه الفتنة ، حتى أن الطير في السماء تحير ، والكلاب والدواب وغيرهم أصيب بالرصاص ، فاستمروا على ذلك الحال أياماً ثلاثة » .

ويقول في مناسبة أخرى : « ... فلما رأت الينشريةُ ، العزبَ ظافرين عليهم ، حرقوا بيتاً بيتاً بينهم ، فطارت النار في السقف والدكاكين والبيوت في ذلك النهار ، ونهبت البيوت بقوصون ، وانحرقت النساء والأطفال والرجال والأمتعة والحوانيت وانهدمت ، وتهتكت الحرائر ، وانكشفت السرائر ، وأيست الناس من الحياة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . وانحرق في ذلك اليوم بيت المرحوم محمد كتخدا بيرقدار والربع المجاور له وبيوت كثيرة ، وحوانيت شهيرة ، فاستمر الحرق ليلاً ونهاراً عشرة أيام ، لا يقدرون على إطفاء النار ، من كثْرة الرصاص النازل على تلك الديار » . ومن أمثال هذا الوصف كثير مما دونه المؤلف بخطه .

ولم يبالغ الشيخ على الشاذلى أو يهول في وصفه لأحداث هذه الفتنة ، فإن ثمت معاصرين لها ، اتفقوا معه فيما كتبوا عنها ووصفوا من أحداثها .

فالشيخ حسن البدرى الحجازى الأصل المصرى الإقامة ، عاصر الفتنة وشاهد أحداثها ، وناله من أضرارها وأذاها ما نال غيره من سكان القاهرة فسجل انفعالاته شعراً ، فقد كان البدرى أديباً شاعراً ، ووصف ما عاناه الناس بسببها ، ونحن لا ندرى عما إذا كان قد جمع البدرى ما نظمه عن الفتنة في ديوان ، ولكننا وقفنا على بعض ما نظمه فيها مما أورده المؤرخ المصرى الشيخ عبد الرحمن الجبرتي في كتابه « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » .

ومما أورده الجبرتي من نظم البدرى قوله :

بلية عظيمة مصرا أتت ما وجدت قط وقد لا توجد
دامت عليها مدة مديدة في كل وقت هولها يجدد
أيوب والإفرنج والباشا كذا محمد الصعيدى بيك الأفسد
قد فعلوا مناكرا شنيعة بأهلها تفت منها الأكبد
ضرب مدافع ودور حرقت وسادة قد قتلت وأعبد
وفي الرعايا القتل والنهب فشا والجوع والظمأ وما لايعهد
وجملة القول عن الذى جرى لا تسألن فشرحه لا ينفد(١)

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ١ ص ١٠٧

وقوله :

قد نصبوا فوقنا المدافع ترمى بأعلى البروج جمراً
فأحرقونا وأحصرونا وأعطشونا بالمنع قسرا
عن نيلنا ثم قد شربنا ملحاً فزاد الكبود حراً(١)

قوله أيضاً :

من أعالى السور ناراً أرسلوا في البرايا كى يحشوا أى حش
واستمروا مدة طالت وقد عمنا خوف وجوع وعطش(٢)

وقوله أيضاً :

وأحاطوا بنا وقد منعونا استقاء من نيلنا أو نصوّب
فعطشنا وماء ملح شربنا ورمونا بكل ما كان يرعب
مدة مستطيلة ثم باءوا بعقاب لم يبق منهم معقب(٣)

وغير الشيخ حسن البدرى من المعاصرين للفتنة ، الحاج مصطفى بن الحاج ابراهيم ، تابع الأمير حسن أغا عزبان . وقد اشترك الأمير حسن وابنه في الفتنة إلى جانب خصوم إفرنج أحمد ، فسجل الحاج مصطفى أخبار الفتنة في كتابه « تاريخ وقائع مصر من سنة ١١٠٠ - ١١٥٢ هـ »(٤) . نقتطف منه ما يلى :

« وإذا بالمدافع من باب الانكشارية انطلقت على غفلة على باب العزب والمحجر بان في ساعتها الشجيع من الجبان »(٤) .

و « . . . نعماك بالصابونجى وكور عبد الله في أخذ المتريزات في باب زاوية الشيخ ابراهيم ، أخذ مدفع كبير ملآن رؤوس مسامير وجُدد كبار وبجانبه متريز بمدفع أقل منه ، سدوا الطريق الذى يؤدى إلى حارة الجامع المطل على المحجر . . . . . وعَزّلوا كامل سكان باب العزب ونزلوا تحت لم أصاب

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ١ ص ١٠٨
(٢) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ١ ص ١٠٩
(٣) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ١ ص ٩٧
(٤) مخطوط بالخزانة التيمورية ، رقم : ١٤٠٢ تاريخ .
(٥) المخطوط : ص ١٢٤

مالهم شئ ، غير أن النساء من رمى المدافع على غفلة أرمت حملها وبعض صغار فرقعت مرارتهم ماتوا . . . »[١] .

ويقول عن إغلاق الطرق : « . . . . وأحرموا (منعوا) أحد يدخل من باب القرافة إلى تربة الرميلة ولم أحد ينزل من السبع حدرات إلى قره ميدان ، ولم أحد يقدر يمشى بين الشيخونتين ، ولم أحد يقدر يطلع من المظفر إلى بيوت آقبردى . . . »[٢] .

ويقول أيضاً : « . . . وعزلت سكان القلعة ومشيت الناس على بعضها وعزلوا سكان الرميلة كاملها ودخلوا المدينة . . »[٣] .

ويقول أيضاً : « . . . والذين ساكنين داخل الباب دابوا من عدم الماء والحنطة وماتت أولادهم ورمت نساؤهم حملها من رمى المدافع . . »[٤] .

ويقول أيضاً : « . . . وبدؤا (المتحاربون) ينقبون في بيوت من باب العزب إلى أن وصلوا قرب باب قره ميدان ومن جامع الماس إلى قصاد بيت البيرقدار وحرقوا الربع وباب البيرقدار والطاحون . . . »[٥] . إلى غير ذلك مما وصفه المؤلف من الأذى والضرر الذى حل بالناس ، مما يتفق وما جاء في كتاب الشيخ على الشاذلى .

* * *

والشيخ على الشاذلى وهو أحد أفراد الشعب ، نجده يتأذى من هذه الفتنة ، ويستفزه استهتار المتنازعين واستهانتهم بأرواح الناس وممتلكاتهم ، ويتألم لما حل بالبلاد — القاهرة وقرى مصر — من تخريب وتدمير ، وما أصاب الناس في القاهرة من أضرار ، من قتل ونهب وحرق ، ولاشك أنه قد ناله من أضرارها ما نال غيره من سكان القاهرة ، ولذلك نجده يسخط على القائمين بها وعلى من عاونهم عليها ، فيدعو على من أراد ضرر « مصر المحروسة ،

(١) المخطوط : ص ١٢٥ — ١٢٦
(٢) المخطوط : ص ١٢٥
(٣) المخطوط : ص ١٣٠
(٤) المخطوط : ص ١٣٠
(٥) المخطوط : ص ١٣٧

فاجعل الله أيامه منحوسة ، وأهلكه واقطع دابره ، وألحقه بسرعة ياربنا بالآخرة » .

ثم يهجو الفريقين المتحاربين ويعنف عليهم ، فيقول : « . . . وتنافست الفرقتان غاية التنافس ، ودخل بينهم الشيطان ، وغرّتهم الدنيا ، وزينّت لهم بأنهم مقيمون فيها ولا رحيل عنها ، ولقد نسوا قول الله تعالى « وما الْحَيَاةُ الدُّنْيا إلا مَتَاع الغُرُور» . وقوله : « . . ولم يحسبا عواقب الأمور ، وسلبهما الله العقل حتى أنفذ فيهما القضاء المبرم الذى لاراد له ولا فرارمنه » . ثم يتمثل بقول القائل :

إذا أراد الله أمـراً بامرئٍ وكان ذا عقل وسمع وبصر
أصم أذنيـه وأعمى عينـــه وسل منه عقله سل الشعر
حتى إذا أنفــذ فيــه حكمه رد إليه عقـــله ليعتـــبر
لا تقل فيما جرى كيف جرى كل شئ بقضـــاء وقـــدر

ومن ذلك أيضاً ، أنه لما وصل ابن حبيب مع عربانه إلى شبرا باستدعاء من أيوب بك ليشترك معه في قتال خصومه ، أفسد ابن حبيب وعربانه ونهبوا ما في طريقهم من القرى ، فيدعو المؤلف عليه وعلى عربانه ، فيقول : « . . . وخرجوا ينهبون المال والغلال ، وهم قاصدون الحرب والقتال ، إلى أن وصلوا إلى شبرا ، فالله يلحقهم بداره الأخرى . . » .

وهو في الوقت نفسه ، يدعو لمن يريد الخير للقاهرة ، فيقول : « واحفظ اللهم من حمى حماها ، ومن السوء والمكروه قد وقاها ، وسائر البلاد والقرى الإسلامية ، بجاه المصطفى خير البرية » .

* * *

وبالرغم من أن الفتنة قامت في أحد أوجاقات الحامية العثمانية وانحصرت بين الحامية والأمراء ، إلا أن المؤلف يعزو سببها أيضاً إلى فساد المجتمع في عصره ، هذا المجتمع الذى يتكون من الأمراء البكوات حكاماً وغير حكام ، ومن شيوخ الأزهر بصفتهم قادة روحيين ، ثم من سكان القاهرة بطبقاتهم الثلاث .

فالأمراء البكوات يسود بينهم الحسد والتنافس على النفوذ والسلطان حتى أفسدهم « التجبر والتكبر والبطر» مما دفعهم إلى محاربة بعضهم بعضا .

وأما شيوخ الأزهر وعلماؤه ، فكان بعضهم يجرى وراء المادة ، كما حدث في هذه الفتنة التي يعرضها المؤلف ، فقد أفتى بعض الشيوخ فتاوى متعارضة لكل من الفريقين المتخاصمين بجواز قتال خصمه ، مقابل مبالغ من المال دُفعت لهم من الفريقين . وبسبب هذه الفتاوى المتضاربة ، استبد كل فريق برأيه ورفض الصلح ، ثم أنشبوا القتال . ويعرّض المؤلف بشيوخ الأزهر حين يهاجم المتقاتلين وتصميمهم على القتال ، بقوله : «كل ذلك من عدم رئيس يرشدهم ، وعالم يزجرهم » . ويقول عن اختلاف العلماء بشأن نفى خصوم إفرنج أحمد ، عند بداية النزاع : « ثم إن بعض العلماء أفتى بأنهم ينفون من هذه البلاد ، وأن أمر وكيل السلطان مطاع لاخلاف فيه ولا نزاع ، وكل من عاند يجوز قتاله ومحاربته ، وبعضهم أفتى بأنه لا يجوز قتالهم ولا نفيهم ، فحصل الخلاف بين العلماء في الفتاوى بسبب اختلاف الأسئلة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » .

وأما الناس ، سكان القاهرة ، فإن المؤلف يحملهم مسئولية ما حدث بسبب فسادهم وبعدهم عن تعاليم الدين وارتكابهم المعاصى ، لذلك انتقم الله منهم بهذه الحرب ، يقول الشاذلى : « . . كان الناس في أمن وعزة وأمان ، فذل العزيز وخاف الشريف وظهر اللئيم وبان ، وكان الناس في نزهة وأفراح ، ولعب وحظ وانشراح ، وطاب لهم الوقت والزمان ، ومصرنا المحروسة تشبه الجنان ، من مآكل ومشارب ، وملابس ومراكب ورخاء قد عم البلاد ، ونزهة لسائر العباد ، فبطرنا وأخذنا في المعاصى ، ولم نتذكر يوم أخذ للنواصى ، وكل ذلك من أمور ارتكبناها ، وأمور ابتدعناها ، فجوزينا بذلك ، فالله يفرج عنا هذه المهالك .

* * *

وكتاب الشاذلى ، فضلاً عن وصفه الفتنة وما سببته من أضرار بالغة ، فإنه يبين أموراً هامة ، ويمد الباحث بمعلومات قيمة عن كثير من الأحوال التى كانت سائدة في مصر أثناء الحكم العثماني .

فالكتاب يبين أولاً : مدى فقدان التضامن بين أوجاقات الحامية العثمانية في مصر ، وكيف تسوقهم أتفه الخلافات التى تقع بينهم إلى حرب مسلحة ، بينما مهمتهم هى إتبات الأمن في البلاد .

ويبين الكتاب ثانياً : ضعف الوزير نائب السلطان العثماني في مصر ، عند نشوب خلاف بين الأمراء أو بين أوجاقات الحامية ، فقد كان يميل سريعاً إلى الجانب الذى يتوهم أنه الأقوى فيعضده ويسانده ، دون أن يحاول محاولة جدية في الوقوف إلى جانب المصلحة العامة ، وما ذلك إلا لأنه يعلم أنه أضعف من أن يملى إرادته على أحد ، وما ذلك أيضاً ، إلا لأن سلطته على الحامية معدومة ، وأن نفوذه على الأمراء حكاماً وغير حكام مفقود ، بل كثيراً ما كان الأمراء يفرضون يفرضون إرادتهم عليه ، ويعزلونه ويعتقلونه دون أخذ رأى السلطان العثماني ، فلا يسع السلطان إلا الامتثال لإرادتهم ، والموافقة على عملهم . وعَزْل خليل باشا ـ الذى كان نائباً للسلطان العثماني أثناء الفتنة التى نحن بصددها ـ خير شاهد على ذلك .

ويبين الكتاب ثالثاً : موقف بعض العلماء وشيوخ الأزهر من الأحداث الهامة التى كانت تجرى في مصر ، وكيف أنهم لا يتفقون على رأى واحد في الأحداث الخطيرة التى تمس سلامة البلاد وأرزاق الناس وأرواحهم ، وقد بين لنا مؤلف الكتاب الشيخ الشاذلى ، كيف أن العلماء اختلفوا في نفى خصوم إفرنج أحمد ، ثم كيف أن بعضهم باعوا الفتاوى للفريقين المتخاصمين بجواز قتال كل منهما للآخر ، الأمر الذى أدى إلى تعصب كل فريق لرأيه ، ثم أدى بالتالى إلى اشتداد الفتنة وتحويلها إلى قتال مرير . وليس من الغريب بعد ذلك ، أن يفشل العلماء المخلصون الذين حاولوا إصلاح ذات البين بين المتخاصمين في مهمتهم ، بعد أن أصبح في يد كل فريق وثيقة شرعية تؤيد حجته ، وتجيز له قتال خصومه ، وليس من الغريب كذلك ، أن يكون نصيب العلماء الذين أفتوا لإفرنج أحمد ، النفى بعد هزيمته .

ويبين الكتاب رابعاً : كيف كان الأمراء ينعمون بالعيش الرغيد ويقيمون في القصور الفاخرة على حساب خيرات البلاد وأهلها ، حيث يصف الشيخ الشاذلى حياة الأمراء في مصر في معرض كلامه عن الفتنة ، فيقول : « ... ولقد

كان هؤلاء الأمراء من العز في غاية ، ومن التنعم والتنزه والتفكه في نهاية ، والتلذذ بأنواع المآكل الفاخرة ، والملابس الباهرة ، والخيول المسومة ، والجوارى المنعمة ، والمياه الجارية ، والجناين والبساتين الحاوية ، لسائر الأزهار ، والفواكه والأثمار ، وكثرة الخدم والحشم ، فلم يراعوا هذه النعم » . ثم يصف قصر الأمير أيوب بك ، فيقول : « ... وبيت الأمير أيوب ، قد خلت منه العيوب ، قد حوى كل المحاسن ، وفاق على كل الأماكن ، بالجنينة الحاوية لسائر الأشجار ، وكل الفواكه والمشموم والأزهار ، وخلفها بركة من ماء النيل ، على حافاتها الأشجار والنخيل ، وفي وسطها قصر متين ، يشرح القلب الحزين ، يسمع منه أصوات الطيور ، من بلبل وشحرور ، وقمرى وكيروان ، يسبح الرحيم الرحمن ، لهم هدير وغدير ، والرياح لها صفير ، قد حوى كل الفنون ، وهو نزهة للعيون » .

ويبين الكتاب خامساً : موقف سكان القاهرة من الفتنة ، فقد انقسموا بدورهم قسمين ، كل قسم يؤيد فريقاً من المتنازعين وإن كانوا لم يشتركوا في القتال معهم ، ولكنهم بدؤا ينزعجون حين لحقت بهم أضرارها ، فأخذوا يدعون الله أن يرفع عنهم هذه الشدة والبلية ، ولما طال القتال ، وازداد بهم الضيق ، أخذوا يعبرون عن سخطهم بالشكوى جهاراً حتى بلغت مسامع ضباط أوجاق العزب ، فخافوا أن يتحول السخط إلى ثورة : « ... وأما ما كان من أمراء العزب ، فإنهم ضاقت نفوسهم ، وتعبت قلوبهم ، وقالوا هذا الأمر قد فزّع الناس ، وصار جميع الناس في وسواس ، ونخاف من تطرقه من حارة إلى حارة ، فتصير الخلائق في دهشة وغارة ، ويتولد من هذا ضرر كبير ... » ، ولذلك يعمل أوجاق العزب على إنهاء القتال في أسرع وقت ، قبل أن يتحول سخط الناس إلى ثورة عارمة تطيح بهم جميعاً .

يبين الكتاب سادساً : دور القبائل البدوية من عربان ومغاربة المقيمة في الوجهين البحرى والقبلى في هذه الفتنة . فقد كان معظم أفراد هذه القبائل تعيش على السلب والنهب والإغارة على القرى الآمنة ، فيستولون على الأموال والغلال والمواشي . وقد استعان كل من الفريقين المتنازعين بهذه القبائل في القتال ، فخرج أبناؤها يزحفون إلى القاهرة ، ويغيرون في طريقهم على

ما يقابلهم من بلاد وقرى ، فينهبون سكانها الوادعين ويسرقونهم ويتلفون مزروعاتهم .

* * *

وقد وقف المؤلف موقف الحياد من الخصوم ، فلم يكن هواه مع أى من الفريقين ، وإنما كان ناقماً عليهم جميعاً ، ولكنه كان معجباً بالفروسية والشجاعة والجرأة ، أينما كانت هذه الصفات من الخصمين ، مثال ذلك وصفه يوسف بك الجزار — أحد خصوم إفرنج أحمد — بأنه « فارس المنايا والموت الأحمر ، بطل من الأبطال لا يخطر الموت له ببال » . ثم يصف محمد أغا متفرقة من رجال إفرنج أحمد ، فيقول عنه : « لله دره من فارس ، بطل من الأبطال ليس له نظير في رمى الجريد والنشاب ، رمى بقوسه نبلاً ، فوضعوا محل الوقوع علامة ، وصار الرماة المشهورة ترمى ، فلم يصل نبلهم تلك العلامة » .

غير أنه بعد أن ينتصر خصوم أيوب بك وإفرنج أحمد ، وينتهى القتال ويستتب الأمن في القاهرة ، تطمئن نفس الشاذلى ويزول قلقه ، فيمدح المنتصرين ويشيد بقوتهم في حرارة وحماس ، فيقول : « فلله درهم من فرسان ، وغلمان وشجعان ، لا يخافون من الحرب ، والقتل والضرب ، شبهتهم بالأسود الكاسرة ، وهم كالملوك الأكاسرة ... ونسأل الله حفظ عسكرنا علينا ، ودوامهم لدينا » .

ولكنه في الوقت نفسه ينعى عليهم نفيهم للعلماء الذين أفتوا لخصومهم أيوب بك وإفرنج أحمد ومن لاذ بهم بجواز قتالهم من القاهرة عقوبة لهم ، ويعتبر نفيهم « من أعظم المصايب » ثم يدعو على من نفاهم ، ويسأل الله أن يرد العلماء من منفاهم .

* * *

ولغة المؤلف في كتابه عربية فصحى في مجموعها ، ولكن في غير تعقيد ، وأخطاؤه الإملائية واللغوية قليلة ، وقد عملنا على تصويبها .

أما أسلوبه فإنه ممتع حقاً وإن فشا فيه السجع على عادة كتاب عصره ، وبخاصة حين يصور المآسى التى حلت بالناس أثناء القتال ، وحين يصف ما كان يتمتع الأمراء البكوات به من حياة كلها ترف وبذخ . وسجع المؤلف على كل حال سجع محبب ، ليس فيه تكلف أو تصنع ، فيما عدا حالات قليلة ، وذلك عندما لا تسعفه الألفاظ بما يريد . من ذلك قوله : « ... فركبت العربان على العربان ، ونزلوا في حومة الميدان ، وكذلك العسكر على العسكر ، ومن صلى على سيدنا محمد يربح ولا يخسر » . ومثل قوله أيضاً : « ... وضربوا المدافع فأدوت الأرض ، فخرجت الجلل من أفواهها بالعرض » .

ويستشهد المؤلف بالشعر كثيراً ، مما يدل على وفرة محصوله منه ، كذلك يضعه في مناسبته من الحوادث مما يدل على فهم وتذوق ومعرفة ، وبحكم ثقافته الدينية فإنه يستشهد بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف .

(ب) — المخطوط

وقد اعتمدنا للنشر ، المخطوط الوحيد الموجود بالخزانة التيمورية برقم ٣٦٧ تاريخ . والراجح أنه بخط المؤلف ، لأنه ليس في المخطوط ما يشير إلى أنه نسخة من أصل المؤلف أو من نسخة أخرى ، ثم إن المخطوط ينتهى بهذه العبارة : « قال ذلك بلسانه الحقير في عيون القرا ، الفقير على الشاذلى الفرا » .

* * *

ويحمل المخطوط في فهرس الخزانة التيمورية عنوان « نبذة في ذكر واقعة بين أمراء مصر سنة ١١٢٣ هـ » . أما العنوان في المخطوط نفسه فهو « رسالة في واقعة وقعت بين أمراء الجراكسة بمصر سنة ١١٢٣ تسبب فيها إفرنج أحمد أوده باشا مستحفظان للشيخ على الشاذلى وقد ذكر إسمه في آخرها » . وهذا العنوان بخط يخالف خط المخطوط ، ثم في صفحة العنوان ، إشارة بالقلم الرصاص إلى الحزم الموجود بعد الصفحة ٧٤ من المخطوط ، ولعل الذى وضع هذا العنوان وغيره من البيانات هو أحمد تيمور باشا الذى كان يملك المخطوط . واختلاف العنوان في فهرس الخزانة التيمورية وفي

المخطوط يدل على أن أيهما ليس هو العنوان الأصلى الذى وضعه المؤلف ، ولذلك أرجح أن العنوان الأصلى ، هو « ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة القاهرة » ، فقد ختم المؤلف مخطوطه بقوله : « وليكن هذا آخر ما أردنا ، وإتمام ما قصدنا ، من ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة القاهرة » ، ولذلك اخترنا للمخطوط هذا العنوان .

* * *

ويقع المخطوط في اثنتين وتسعين صفحة ، وتحتوى كل صفحة على ١٧ سطراً ، وكل سطر يحتوى على ما بين ٧ و ٨ كلمات .

والواقع أن المخطوط يقع في الأصل في أكثر من هذه الصفحات ، ولكن النقص في أوله ووسطه جعله في عدد هاته الصفحات .

والمخطوط غير مرقوم في الأصل ، والترقيم الموجود فيه ، ترقيم مدخول عليه ، واليد التى رقمته اعتبرت أولى صفحاته ما هو موجود بالفعل ، ثم تجاوزت عن النقص الموجود في وسطه ، فسلسلت أرقام الصفحات حتى بلغت اثنتين وتسعين صفحة .

والنقص الذى يقع في أول المخطوط لا يعرف مقداره ، ولعله لا يزيد عن الورقة التى تحمل صفحة العنوان والورقة الأولى التى تحمل افتتاحية الكتاب ومدخل الموضوع ، فإن الصفحة الأولى من المخطوط ، توحى بأن المؤلف لا يزال في أول الحديث عن الفتنة . أما النقص الآخر ، فإنه يقع بعد صفحة (٧٤) من المخطوط ، إذ المفروض أن تبدأ الصفحة (٧٥) باللفظ « ضاقت » وهو اللفظ المثبوت في ذيل صفحة (٧٤) ، ولعل هذا اللفظ هو الذى يبدأ به البيت المشهور :

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها   فرجت وكنت أظن أنها لاتفرج

ولكن الصفحة (٧٥) تبدأ بكلام لا علاقة له بالصفحة السابقة لها .

وإذا كنا لا نعرف مضمون الورقة أو الورقات الأولى الناقصة من المخطوط ، فإنا نستطيع أن نحزر مضمون الورقة أو الورقات الناقصة بعد صفحة (٧٤) ، وذلك بالرجوع إلى مصدرين تكلما عن الفتنة ، وهما

مخطوط ، « تاريخ ما وقع بمصر من سنة ١١٠٠ — ١١٥٢ هـ » للحاج مصطفى ابن الحاج إبراهيم ، وكتاب « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » للشيخ عبد الرحمن الجبرتي ، وهى المعلومات الخاصة باستسلام الوالى العثماني بعد هزيمة الفريق الذى كان يؤيده ، وقد أشرنا إلى هذه المعلومات في مكانها ، في حاشية الكتاب .

* * *

والمخطوط مكتوب بالخط النسخ العادى الواضح ، وهو سهل القراءة ، ما عدا بعض ألفاظ تعذر قراءتها بسبب طمسها ، وقد اجتهدنا في وضع ألفاظ بدلا منها تناسب معناها في العبارة التى جاءت فيها ، ووضعنا هذه الألفاظ بين الحاصرتين [ ] ، وأشرنا إلى ذلك في الحاشية .

* * *

وفي المخطوط بعض الأخطاء اللغوية والإملائية ولكنها قليلة ، ولم نجد صعوبة في تصويبها لأن المؤلف يسر لنا الأمر بوضوح خطه وسلاسة أسلوبه ، غير أن هناك بعض ألفاظ غريبة في تركيبها الإملائي ، مثل : « الماتنة » في عبارته « الأماكن الماتنة البناء » ويقصد المتينة البناء ، و « كيروان » للطائر المعروف بـ « الكروان » ، فأبقينا على مثل هذه الألفاظ كما هى ، ما دامت مفهومة من سياق العبارة .

* * *

وورد في المخطوط بعض المصطلحات العسكرية والإدارية التى كانت متداولة في عصر المؤلف ، ولكنها غير معروفة اليوم ، فشرحنا هذه المصطلحات في هوامش الكتاب .

* * *

كذلك ورد في المخطوط أسماء شخصيات هامة ، كان لها دوراً هاماً وخطيراً في الفتنة ، فعرّفت بهذه الشخصيات في هوامش الكتاب ، وذلك لكى تكون لدى القارىء فكرة عن مكانة كل شخصية هامة اشتركت فيها .

* * *

وقد اقتضى الأمر أحياناً إلى أن أضيف إلى عبارة المؤلف كلمة أو حرفاً لكي تستقيم العبارة ، وقد وضعت الإضافة بين الحاصرتين [ ] .

* * *

وقد قابلت أخبار المخطوط على كل من « تاريخ وقائع مصر من سنة ١١٠٠ — ١١٥٢ هـ »[1] و « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » ، وهما أهم المؤلفات التى تعرضت للفتنة .

فأما « تاريخ وقائع مصر » فهو مخطوط كتبه الحاج مصطفى بن الحاج إبراهيم تابع الأمير حسن أغا عزبان . والسنة التى ولد فيها المؤلف مجهولة ، غير أنه كان معاصراً للفتنة ، وذلك لذكره اشتراك سيده الأمير حسن أغا وابن سيده فيها . وقد كتب المؤلف كتابه باللغة العامية البحتة ، وذلك لجهله باللغة العربية الفصحى ، وأسلوبه معقد صعب الفهم لعاميته المشوبة بالتعبيرات التركية والجركسية .

غير أن أهمية المخطوط ترجع إلى أن المؤلف عاصر الحوادث التى ذكرها في كتابه ، وهى حوادث نصف قرن . وترجع أيضاً إلى أنه يتفق وما ذكره الشاذلى عن حوادث الفتنة ، وما سببته من الأضرار التى لحقت بالناس من هدم البيوت وحرقها ونهبها ، وإن كان كل من المؤلفين اختار المعلومات التى رآها — بحسب وجهة نظره — هامة .

وأما « عجائب الآثار » فهو للمؤرخ المصرى الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ، والجبرتي لم يعاصر الفتنة فقد ولد بعدها ، أى في سنة ١١٦٧ هـ (١٧٥٣م) ، وقد تضمن كتابه أخبار مصر وحوادثها من سنة ١١٠٠ — ١٢٣٦ هـ (١٦٨٨ — ١٨٢٠ م) .

وقد استمد الجبرتي مادته عن الفتنة من كتاب « تاريخ وقائع مصر » ومن كتاب الشاذلى وإن كان لم يصرح هو بذلك ، ولكن تأكد لنا هذا من مقابلة أخباره على أخبار الكتابين ، بالإضافة إلى أنه أشار في مقدمة كتابه إلى إطلاعه على « بعض كراريس سودها بعض العامة من الأجناد ركيكة التركيب

---

(١) توافق سنة ١٦٨٨ — ١٧٣٥ م .

مختلة التهذيب والترتيب ، وقد اعتراها النقص في مواضع خلال بعض الوقائع» وهو لا شك يعنى مخطوط « تاريخ وقائع مصر » . كذلك أشار صراحة بأنه اطلع على مخطوط الشاذلى ، حيث يقول في ختام أخباره عن الفتنة : « ورأيت مؤلفاً للشيخ على الشاذلي في خصوص هذه الواقعة وما حصل فيها مفصلاً »[١] .

وقد أتيح للجبرتي الاطلاع على مصادر أخرى تعرضت للفتنة لم نعثر عليها ، ويتضح ذلك من ذكره معلومات لا نجدها في كل من كتاب الشاذلى وكتاب « تاريخ وقائع مصر » ، وإن كانت هذه المعلومات ليست بذات أهمية كبيرة . غير أن أهم ما في الجبرتي عن الفتنة ، هو تحديد التواريخ اليومية لبعض أحداثها ، تمشياً مع خطته العامة في تأليف كتابه . وعلى ذلك ، فهذه المصادر الثلاثة : مخطوط الشاذلى ، ومخطوط الحاج مصطفى وكتاب الجبرتي ، يكملون بعضهم بعضاً لأخبار هذه الفتنة .

وهناك مؤلفات أخرى ذكرت أخبار الفتنة ، ولكن أصحابها لم يعاصروها فجاءت معلوماتهم عنها ضئيلة ومختصرة ، ومنها ما يخالف ما ذكره المؤلفون المعاصرون ، ومن هذه المؤلفات :

١ — تاريخ حوادث وقعت بمصر من سنة ١١٢٠ إلى دخول الفرنسيس : تأليف الشيخ إسماعيل الخشاب المتوفي سنة ١٢٣٠ هـ (١٨١٤ م)[٢] . وهو تاريخ مختصر عن مصر ، يبدأ من سنة ١١٢٠ هـ وينتهى بالحملة الفرنسية سنة ١٢١٣ هـ (١٧٠٨ — ١٧٩٨) . أى أنه لم يتكلم عن أخبار الحملة ؛ وهو عديم الأهمية بالنسبة لموضوع مخطوطنا ، فإن المؤلف لم يعاصر الفتنة ، ثم هو يتحدث عنها باختصار كبير ، فضلاً عن أنه أخطأ في ذكر السنة التى حدثت فيها الفتنة ، فقال أنها سنة ١١٢٠ هـ ، هذا إلى جهله بحقيقة ما أحدثته الفتنة من تخريب وتقتيل في أحياء القاهرة قبل أن ينتقل القتال إلى ظاهر المدينة ، إذ قال ، إن المتقاتلين كانوا « يخرجون في كل يوم إلى خارج القاهرة قريباً من المكان المعروف بقبة العزب ، فيتحاربون إلى أن تدنو الشمس من الغروب

(١) الجبرتى : عجائب الآثار ، جـ ١ ص ١٠٧ .
(٢) مخطوط بالخزانة التيمورية ، رقم : ٢١٠٧ تاريخ .

ثم يرجعون إلى منازلهم ، وذلك بوفور شفقتهم على الرعية ، والبلد في أثناء هذا مفتحة عامرة أسواقها »[١] .

٢ ـ تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين : تأليف الشيخ عبد الله الشرقاوى ، المتوفي سنة ١٢٢٧ هـ (١٨١٢ م) . وقد ذكر الشيخ الشرقاوى الفتنة عند حديثه عن عزل الوالى العثماني في مصر ، ابراهيم باشا القبودان سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) فقال : « وحضر بعده لوزارة مصر الوزير خليل باشا ، ووقع في زمنه فتنة عظيمة سنة ثلاث وعشرين ومائة وألف بين العسكر ، وقفلت حارات مصر وأسواقها اثنين وسبعين يوماً ، والمدافع تضرب ليلاً ونهاراً ، وتعطلت سائر الأسباب ، وآل الأمر إلى قتل أمراء لايحصون ، منهم أحمد باشا أوطه باش مستحفظان الشهير بافرنج وبه اشتهرت تلك الوقعة ، وهرب من مصر أمراء لايحصون ، منهم رئيس القوم أيوب بك أمير الحاج الشريف ، ونهبت أموال كثيرة ، وسبيت ذرارى كثيرة ، وعزل خليل باشا صاحب الفتنة »[٢] .

(١) ص ٢ ـ أ .

(٢) انظر كتاب « فتوح الشام » للواقدى ، الجزء الأول ، هامش ص ١٧٩

المخطـــوط

قرا[١] إسماعيل كتخدا[٢] ، مصطفى كتخدا الشريف [٣] ، أحمد ١
كتخدا برمق سر[٤] ، كور عثمان كتخدا[٥] ، أويس كتخدا ، ناصف كتخدا[٦] ، سركس إسماعيل كتخدا ، عمر كتخدا[٧] ، على كتخدا[٨] ، فهؤلاء الأمراء — لهم الحل والعقد في مصر وأقطارها ، وزاد على هؤلاء جميعاً بلك الينشرية[٩] بالكلمة النافذة وجلب الأموال والحبوب من سائر القرى

---

(١) من هذه الصفحة يبدأ المخطوط . ونستطيع أن نستنتج أن الجزء المفقود من أوله ، أنه حديث المؤلف عن امراء مصر ورؤساء أوجاق الانكشارية وزعيمهم افرنج أحمد أوضا باشا وما حدث بينهم من نزاع أدى الى نفى القائد المذكور .

وقد ذكر الجبرتى اخبار قرا اسماعيل كتخدا على السنين ، فى كتابه عجائب الآثار فى التراجم والأخبار : ج ١ ص ٤١ وما بعدها .

(٢) كتخدا : لفظ فارسى صحة كتابته « كدخدا » ، وله أكثر من معنى ، مثل : ملك ، رئيس ، عمدة ، حاكم (المعجم فى اللغة الفارسية) . وقد استعمل اللفظ فى العصر العثماني ، بمعنى : وكيل أو نائب ؛ ففى الجبرتى (ج ١ ص ١١١) أن قانصوه بك كان تابعا لقيطاس بك الكبير الدفتردار ، فرباه سيده وجعله كتخداه .

(٣) لم يترجمه الجبرتى بعد وفاته ، وانما ذكر أخباره على السنين ، فى ج ١ ص ١٠٦ وما بعدها .

(٤) سوف يأتى الاسم فى النص بعد ذلك : برمق سيز .

(٥) لم يترجمه الجبرتى بعد وفاته ، وانما ذكر أخباره على السنين ، فى ج ١ ص ٥٣ وما بعدها .

(٦) قتل ناصف كتخدا فى سنة ١١٢٣ هـ بعد اخماد الفتنة ، وذكر الجبرتى سبب مقتله مطولا فى ج ١ ص ١١٣

(٧) لم يترجمه الجبرتى ، وانما ذكر أخباره على السنين إبتداء من ص ٤١ ج ١

(٨) ذكره الجبرتى باسم على كتخدا المعروف بالداودية مستحفظان وانه كان من أعيان الانكشارية وأصحاب الكلمة ، وكان من الأعيان المعدودين فى مصر . توفى سنة ١١٣٣ هـ (ج ١ ص ١١٤) .

(٩) الينشرية : هم جند الأوجاق (الفرقة) الذى حرف اسمه فى اللغة العربية باسم الانكشارية ، وهو أهم اوجاقات الحامية العثمانية فى مصر . للاستزادة عن هذا الأوجاق ، انظر : تاريخ جودت ، ص ٤٠ ، ١٠٧ ، ١٢٠ ؛ شفيق غربال : مصر عند مفترق الطرق ، ص ٢١ حاشية ٢

والبلاد ، لكثرة أوضاباشاتهم[١] وأنفارهم ، فحسدوا بعضهم بعضاً، ودخل بينهم اللعين أبومرة[٢] إلى أن أوقعهم فيما سيذكر[٣]. وكان الباش[٤] على أوضاباشاتهم ، إفرنج أحمد أوضاباشا[٥] ، فحاز المال والرجال ، وتصرف غاية التصرف ، فوقع الخلاف بينهم فعزلوه ونفوه إلى بلاده[٦] ، واتفقوا على تولية عبد الله أوضاباشا[٧] ، فتولى أياماً ، وطاب له الوقت وصفا .

ثم إن أحمد أوضاباشا استوفي ما قدر الله عليه من الأيام نفياً ، ورجع
٢ مستخفياً إلى مصر ليلاً[٨] // أو فاشتاع الخبر بقدومه ، فاتفق رأيهم على توليته

---

(١) أوضاباشا : لفظ تركى صحة كتابته : أوطه باشي ، وهو رتبة عسكرية من رتب ضباط أوجاق الانكشارية . (شفيق غربال : مصر عند مفترق الطرق ، ص ٢١ حاشية ٢) .

(٢) أبو مرة : كنية ابليس .

(٣) فى « تاريخ وقائع مصر » ص ٧٣ — ٧٦ ، أن الخلاف بين افرنج أحمد والثمانية بدأ فى شهر ربيع الثانى سنة ١١١٨ هـ (١٧٠٦ م) .

(٤) الباش : لفظ تركى معناه ، الرئيس . (شفيق غربال ، ص ١٨ حاشية ١) .

(٥) ذكر الجبرتى (جـ ١ ص ٩١ ، ١٠٦) أن ابتداء ظهور افرنج أحمد كان بعد موت مصطفى القازدغلى كتخدا مستحفظان سنة ١١١٥هـ (١٧٠٣م) فكان هو ومراد كتخدا وحسن كتخدا ذوى السلطان والنفوذ ، فلما مات مراد كتخدا سنة ١١١٧هـ (١٧٠٥م) زاد ظهور افرنج أحمد وأصبح أودهباشه مستحفظان ، فنفـذت كلمته على جميع أقرانه ، وكان جبارا عنيدا ، مما أدى الى تألب بعضهم عليه ، فكانت الفتنة التى يرويها الشاذلى .

(٦) فى « تاريخ وقائع مصر » ص ٧٦ ، ٧٧ ، أن النفى كان فى شهر ربيع الثانى سنة ١١١٨ هـ . ويصف المؤلف (ص ٩١ وما بعدها) كيفية القبض على افرنج أحمد ونفيه فيقول : ان خصومه لما قبضوا عليه «ضربوه فوق قاووقه (لباس للرأس) باللكامية وجروه الى القلة » ثم استصدروا فرمانا من خليل باشا الوالى العثمانى بنفيه هو وصديقه بشلى حسين الى « الطينة » بدمياط ، ثم « ركبوهما حمير حمَّارة ، وحطوا فى رجلهم القيد من تحت بطن الحمار ... وكانت السفينة جاهزة نزلوا فيها على ما جاهم أسبابهم » (أى حاجياتهم) . ولما وصلهم فرمان الباشا ، « سافروا الى ناحية الطينة سـلموهم بالفـرمان ليد الدزدار » ثم عاد مرافقـوهم الى القاهرة . (الدزدار ، فى اللغة الفارسية هو متولى أمر القلعة) .

(٧) كان عبد الله أوضاباشا منافسا خطيرا لافرنج أحمد ، ولما عاد افرنج أحمد من منفاه ظل عبد الله فى منصبه وانضم الى خصوم افرنج أحمد.

(٨) فى « تاريخ وقائع مصر » ص ٩٣ وما بعدها ،أن أيوب بك — وكان يتولى منصب شيخ البلد فى ذلك الوقت — قد غضب لنفى صديقه افرنج أحمد وصاحبه ، فاتفق سرا مع العرب على أن يسرقوهما من محبسهما وأن=

صنجقاً[١] ، وأرسلوا أعلموه بذلك ، فقال : لاخلاف عندى ولا عناداً، فلبس قفطان الصنجقية وصار أميراً من الأمراء ، فمكث أياماً على هذا الحال. هذا ما كان من أمره .

وأما ما كان من أمر كتخدائيات الينشرية وأوضاباشاتهم وأنفارهم ، [فقد] وقع الخلف بينهم وبين الأمراء وسائر البلكات ، ومشى المفسدون [بينهم] بالقال والقيل حتى صاروا فرقتين ؛ ولله درّ من قال ، لكل شئ آفة من جنسه ، حتى الحديد سطا عليه المبرد .

ثم إن الأمراء وبقية البلكات قاموا عليهم[٢] قومة واحدة وأرادوا قتالهم ، فلما علموا بذلك ، اجتمعوا في بابهم[٣] جميعاً ، وأغلقوا الأبواب ، وعمّروا المدافع وحضّروها للقتال ، فأحاطت بهم العساكر من كل جهة ، ووقفوا على باب القلعة ومنعوهم من النزول والطلوع ، وعينوا الأمير إفرنج أحمد بيك على المحجر // بعسكر وجلس فيه محاصراً لهم سبعة أيام ، ٣
وكان هذا هو عين الحظ له ، لكن بتقدير الله وألطافه الخفية ، لم يضرب أحد مدفعاً ولا بندقية .

فلما رأوا الينشرية هذا الحال ، وأنهم في غاية الضيق ، أرسلوا إلى الأمراء ، وقالوا لهم : ما تريدون منا ؟ فأرسلوا لهم : لانرتضيكم محافظين

= يأتوا بهما الى مصر ، فأتوا بهما ليلا ، فأخفاهما أيوب بك فى بيوت بعض أصحابه . وطلبت فرق الاسباهية والمتفرقة والجاويشية من الوالى العثمانى حسن باشا اخراج اسم افرنج أحمد وصاحبه من أوجاق الانكشارية الذى ينتسبان اليه والحاقهما بأوجاق الاسباهية ، فرفض الوالى طلبهم ، وكادت أن تقوم بسبب ذلك فتنة بين الاسباهية والانكشارية ، فاقترح الوالى تعيين افرنج أحمد صنجقا فوافقوا على ذلك » . وفى الجبرتى (جـ ١ ص ٣٢) أن فرار افرنج أحمد وصاحبه من منفاهما كان فى شهر شعبان سنة ١١١٩ هـ .

(١) الصنجق : لفظ تركى صحة كتابته « سنجاق » ، ومعناه العَلَم ، ثم أطلق اللفظ على القسم من ولاية كبيرة ، وكذلك أطلق على حاكم هذا القسم . وقد تكون الصنجقية مجرد رتبة . (شفيق غربال ، ص ١٤ حاشية ٢) والصنجقية التى تقلدها افرنج أحمد هى مجرد رتبة .

(٢) أى على قرا اسماعيل كتخدا وزملائه المذكورين فى أول الكتاب ، وهم خصوم افرنج أحمد أوضا باشا .

(٣) أى فى ثكناتهم فى القلعة .

لقلعة السلطان ، لأنكم تجبرتم وتكبرتم علينا ، وأنتم تنزلون إلى بلادكم [١] ، فلما سمعوا ذلك ، أجابوا بالسمع والطاعة ، وقالوا نحفظ أنفسنا وأموالنا وأولادنا وأمة محمد بنزولنا ونفينا ، ولكن بشرط إعطائنا [٢] الأمان ، وعدم التعرض لنا وأموالنا وبلادنا ، وضمان الأمراء بذلك ، فأعطوهم الأمان ، وضمنهم بعض الأمراء[٣] وكتب على نفسه حجة بذلك . فلما علموا بذلك ،
فتحوا الباب ونزلوا إلى بلادهم ، وهم : الأمير ناصف //كتخدا ، وكور ٤
عبد الله أوضا باشا ، وقرا إسماعيل كتخدا ، وحسن كتخدا نجدلى ، ومصطفى كتخدا الشريف وغيرهم ؛ وأما الباقون ، فكانوا في بطن الأمر على هؤلاء الجماعة ولذلك لم ينفوا معهم ، واتفقوا مع الأمراء وسائر البلكات عليهم .

ثم إنهم عزلوا الأمير إفرنج أحمد بيك من الصنجقية وولوه باشا على أوضاباشاتهم ، وطاب له الوقت وصفا ، وأتت له الدنيا من كل فج ، ولا يقول كلمة وترد ، واشتاع ذكره في سائر البلدان ، وكان سبباً لتوليته الأمير أيوب بيك .

ثم إن الكواخى[٤] المنفية أرسلوا مكاتبة إلى الأمراء في عودهم إلى بيوتهم وأولادهم ، وأنهم يتفرقون في الأجاوقات[٥] ولا يكون[٦] لهم بباب الينشرية علاقة ، فأجيبوا[٧] إلى ذلك بعد أن مكثوا في بلادهم نحو شهرين ،

---

(١) أى يذهب كل منهم الى البلد التى بها التزامه ويقيم بها .

(٢) بالأصل : اعطاء .

(٣) فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١١٣) أن الذى ضمنهم هو عيواض بك (وسيأتى اسمه فى النص : ايواز بك) وانه أرسلهم الى احدى البلاد الملتزم بها ، « وعيّن لهم تعايين من وسيته طول ما هم مقيمين فى عرضه » . وفى الجبرتى (جـ ١ ص ٣٦) . أن ذلك كان فى يوم الأحد ٢٣ ربيع الأول سنة ١١٢١ هـ .

(٤) الكواخى : جمع « كخيا » وهو الكتخدا . (شفيق غربال ، ص٢١ حاشية ٢) .

(٥) الأوجاقات : جمع ، أوجاق ، وهو لفظ تركى بمعنى الموقد ، ثم أطلق على الطائفة من الجند ، ثم استعمل بمعنى الفرقة من الجيش . (شفيق غربال ، ص ١٧ حاشية ٢) .

(٦) بالأصل : ولم يكون .

(٧) بالأصل : فاجابوا .

فأرسلوا لهم المكاتيب بالعود إلى مصر المحروسة // فرجعوا إليها[١] ، ٥
واجتمعوا بالأمراء ، وصار بعضهم في العزب[٢] ، وبعضهم في الجاويشية[٣] وبعضهم في المتفرقة[٤] ، لكن عندهم الغيرة والمشقة على فراق بابهم وأجاقهم ، ولم يهن عليهم مفارقته ، ولقد أحسن من قال :

كم منزل في الأرض يسكنه الفتى   وحنينه أبداً لأول منزل

هذا ما كان من أمر هؤلاء .

وأما ما كان من أمر إفرنج أحمد أوضا باشا ومن معه من الكتخدائية [فإنهم] صاروا في طيب عيش ، ومودة ، ومحبة ، وعزومات ، وخروج إلى الجنائن ، ومنافع دنيوية لاتعد ولا تحصى ، فحسد بعضهم بعضاً ، والحسد مذموم شرعاً ، ويكون سبباً لزوال[٥] النعمة ؛ وكفى الحاسد ذماً آخر سورة الفلق ؛ وقال بعضهم : ليس شيء أضر من الحسد ، يصل إلى الحاسد خمس
عقوبات قبل أن يصل إلى المحسود : غم // لا ينقطع ، ومصيبة لايؤجر ٦
عليها ، ومذمة لايحمد بها ، ويسخط عليه الرب ، ويغلق عليه أبواب التوفيق ؛ وقد ورد في ذم الحاسد آثار كثيرة ، وأخبار شهيرة ليس هنا محلها ، ولقد أحسن بعض الفضلاء :

ألا قل لمن كان لى حاسداً   أتدرى على من أسأت الأدب

---

(١) فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١١٥ ، ١١٦) ، أن حسن كتخدا النجدلي ــ أحد الثمانية المنفيين ــ أرسل الى الأمير قيطاس بك مالا ليدفعه الى « الخمسة بلوك » فى نظير موافقتهم على رجوعهم الى القاهرة ، فلما دفع قيطاس بك المال الى « الخمسة بلوك » وافقوا على رجوعهم واستصدروا فرمانا من خليل باشا الوالى العثماني برجوعهم . وفى الجبرتى (ج ١ ص ٣٦) أن رجوعهم كان فى شهر ربيع الآخر سنة ١١٢١ هـ .

(٢) العزب : أحد أوجاقات الحامية العثمانية فى مصر ، وهو الأوجاق المنافس لأوجاق الانكشارية .

(٣) الجاويشية : أحد أوجاقات الحامية العثمانية السبعة . (البحر الزاخر ، ص ١٦٧) .

(٤) المتفرقة : أحد أوجاقات الحامية العثمانية فى مصر . وهم أصحاب الاقطاعات . (شيبوب : عبد الرحمن الجبرتى ، ص ١٢) .

(٥) بالأصل : لزول .

أسـأت على الله في فضـله ... لأنك لم ترض لى ماوهب
فجـازاك منـه بأن زادني ... وسد عليك وجوه الطلب(١)

وقال بعض الفضلاء :

وكلٌ أداريه على حَسْب حالـه ... سوى حاسدى فهىالتى لاأنالها
وكيف يُدارى المرءُ حاسِد نعمة ... إذا كان لايرضيه إلا زوالها

فاستمروا على ذلك الحال نحو سنتين(٢) إلىسنة ألف ومائة وثلاث وعشرين(٣) ، [ثم] افترقت الينشرية فرقتين : فرقة مع أحمد أوضا باشا ، وفرقة توجهت إلى الجماعة المنفيين ، واتفقوا أن يكونوا معهم على طبق
٧ مرادهم في جميع ما يفعلونه ، فتوجهوا جميعاً إلى باب العزب// واجتمعوا عليهم وقالوا لهم : تكونوا معنا في ردنا إلى بابنا ، فقالوا لهم : لكم ذلك ونحن معكم ؛ وانضم إليهم خلق كثير من الينشرية نحو الخمسمائة من أوضاباشية وأفندية وجربجية(٤)وأنفار ،واتفقوا جميعاً على عزل أحمد أوضاباشا [من] مكانه ، وتنافست(٥) الفرقتان غاية التنافس ، ودخل بينهم الشيطان

(١) هذا الشعر للمعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد النهروانى القاضى المتوفى سنة ٣٩٠ هـ (٩٩٩ م) (ابن الجوزى ، المنتظم ، جـ ٧ ص ٢١٣) . وقد جاء فى المصـدر المذكور كلمة « فعله » بدلا من « فضـله » فى الشطر الأول من البيت الثانى . وكلمة « عنى » بدلا من « منه » فى الشطر الأول من البيت الثالث .

(٢) فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١١٨ ـ ١٢٠) ، أن الثمانية الذين كانوا قد نفوا ، كانوا منـذ رجوعهم الى القاهرة يعملون على العـودة الى أوجاقهم ، ويوسطون الأمراء بينهم وبين افرنج أحمد ليوافق على رجوعهم ، ولكن افرنج أحمد تعصب وأصر على ابعادهم ، فغضب الأمراء عليه وعلى الأمير أيوب بك الذى كان يؤيده ويسانده ، ثم تحول الغضب الى الحرب .

(٣) توافق سنة ١٧١١م . وفى الجبرتى أن الخلاف الذى تحول الى الحرب بدأ فى يوم الجمعة السادس عشر من شهر المحرم . (جـ ١ ص ٣٨) .

(٤) جربجية : لفظ تركى مفرده « جوربجى » ويطلق على ضباط الانكشارية وعلى « مختارى » القرى المتقدمين فيها ، أو بعبارة أخرى على أعيان الجهات . (شفيق غربال ، ص ٢١ حاشية ١) .

(٥) بالأصل : وتنافس .

وغرتهم الدنيا ، وزينت لهم بأنهم مقيمون فيها ولا رحيل عنها ، ولقد نسوا قول الله تعالى : « وَمَا الْحياة الدنيا إلا متاع الغُرُور » . ولقد أحسن من قال :

لو كانت الدنيا تدوم لأهلها[1] لكان رسول الله حياً وباقيا
ولكنها تفنى ويفنى نعيمُها وتبقى المعاصى والذنوب كما هيا

ثم إن إفرنج أحمد أوضا باشا ، لما رأى هذه الفرقة خرجت من عنده وتوجهت إلى الجماعة المنفيين وباب العزب ، ساءه ذلك واغتم غماً شديداً ، فجمع رجالاً كثيرة وأنفق عليهم الأموال ، وصار يركب معه نحو مائة .

٨ وكذلك عبد الله أوضا باشا // جمع رجالاً كثيرة وأنفق عليهم الأموال ، وصار يركب معه نحو مائة ، وصار كل منهما مصمماً على قتل الآخر ، فتفاقم الأمر بينهم ، واشتد الخصام ، وزادت الفتنة بين الينشرية والثمانية - أى المنفيين - وجماعة العزب ؛ ومن جملة من خرج من الينشرية واستجار بالعزب ، الأمير حسن أمير الصعيد[2] ، وأعطاهم الاموال الكثيرة ، وأنفق على العساكر والجنود حتى أبهر عقولهم .

ثم إن الثمانية ومن تبعهم توجهوا إلى الأمير قيطاس بيك[3] ، والأمير

---

(١) بالأصل : باهلها .

(٢) فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ٧٧ — ٨١) ، أن خروج الأمير حسن — ويعرف بالاخيمى — من أوجاق الينشرية ودخوله فى أوجاق العزب ، كان فى سنة ١١١٩ هـ . وسبب خروجه من أوجاق الينشرية الذى كان ينتمى اليه ، هو أن الأمير محمد بك حاكم جرجا (وهو المعروف فى مخطوطنا بأمير الصعيد) حرض أيوب بك على ارسال افرنج احمد للاغارة على اخميم وقتل الأمير حسن الذى كان حاكما عليها وقتل أولاد أخيه ، فلما علم الأمير حسن بذلك هرب من اخميم الى القاهرة واخرج اسمه من أوجاق الينشرية والتحق بأوجاق العزب .

(٣) كان قيطاس بك يشغل منصب الدفتردارية أيام الفتنة . وكان قيطاس بك كردى الجنس ، وكان مملوكا لابراهيم بك ذى الفقار ، فهو من البيت الفقارى المنافس للبيت القاسمى . تولى امرة الحج ومنصب الدفتردارية عدة مرات . قتله الوالى العثمانى عابدى باشا سنة ١١٢٦ هـ (١٧١٤ م) لأسباب ذكرها الجبرتى (جـ ١ ص ٩٨) .

إبراهيم بيك[١] وبعض من الأمراء والأغاوات[٢] ، ووقعوا في عرضهم لأجل رجوعهم إلى بابهم ، فقالوا لهم : لكم ذلك إن شاء الله تعالى .

ثم إن الأمراء أرسلوا إلى الينشرية : إنكم ترجعون الثمانية إلى بابهم وتكونون عباد الله إخوانا ، فلم يرضوا بذلك ، وقالوا : ليس لهم عندنا
٩ تعلق ولا كلام بوجه من الوجوه ، فلما // وصل إليهم الكلام ساءهم ذلك ، وأرسلوا إلى الجامع الأزهر دراهم كثيرة وأعطوها للعلماء ، وطلبوا منهم فتاوى على قتال هؤلاء الطائفة الذين منعوهم عن بابهم ، فأعطوهم فتاوى على قدر سؤالهم ؛ هذا ما كان من هؤلاء .

وأما ما كان من أمر أحمد أوضا باشا ، فإنه أرسل أيضاً إلى الجامع الأزهر أموالاً كثيرة للعلماء وأخذ منهم فتاوى[٣] ، فأفتوا له على قدر سؤاله ، ورفع أمره إلى وكيل السلطان الوزير خليل باشا فأمده بالمال الكثير وقال له : لابد من نفيهم وافعل ما تشاء ، وأعطى له بيرديا[٤] على قتالهم

(١) هو ابراهيم بك ابو شنب . وكان مملوكا لمراد بك القاسمى ، ثم قلده مراد بك الامارة والصنجقية حتى أصبح من الأمراء الكبار المعدودين فى مصر ، وقد تولى أمرة الحج والدفتردارية عدةمرات . ومن طريف ما يذكره الجبرتى عن ابراهيم بك هذا ، أنه كان بارا بالشحاذين فى مصر وكان يتصدق عليهم ويعرفهم معرفة شخصية . فلما سافر فىسنة١٠٩٤هـ على رأس فرقة من الجند ليشترك مع الجيش العثمانى فى فتح جزيرة كريت ، خرج جميع الشحاذين يتقدمهم نقيبهم لوداعه ، ولما عاد الى القاهرة فى نفس السنة ، خرجوا لاستقباله من مشارف القاهرة وقدموا له حصانا مسروجا محلى بالفضة دالذهب هدية منهم اشتروه من مالهم الخاص باثنين وعشرين ألف فضة بعملة ذلك الوقت ، فقبل ابراهيم بك هديتهم وركب الحصان ودخل به القاهرة وهم يحفون من حوله ، ثم خلع على كل واحد منهم خلعة تناسبه. وتوفى بالطاعون فى سنة ١١٣٠ هـ (١٧١٧م) . (الجبرتى ، جـ ١ ص ١٠٥) .

(٢) الأغاوات : جمع اغا . وهم الرجال من جند وموسيقيين ورسل فى معية الوالى العثمانى ، وهم أيضا الضباط فى أوجاقات الجيش العثمانى . (شفيق غربال ، ص ١١ حاشية ٢ ، ص ١٨ حاشية ١) .

(٣) ذكر المؤلف فى آخر كتابه أسماء العلماء الذين افتوا لافرنج أحمد بجواز قتال خصومه ، وقد نفاهم الخصوم بعد انتصارهم على افرنج أحمد . انظر ما يلى ، ص ٣٩٨ وما بعدها .

(٤) بيردى : لفظ تركى معنـاه ، أمر سام أو عال ، وصحة كتابته : بيورلدى . (حوادث دمشق اليومية ، تحقيق الدكتور أحمد عزت عبد الكريم، ص ١٣١ ، ٢٠١) .

وضرب المدافع عليهم[١] ؛ وأعانه الأمير أيوب بيك بالمال والرجال ، وانضم إليه الأمير رضوان أغا جمليان[٢] ، والأمير أحمد أغاتفكجيان[٣] ، والأمير [عمر][٤] أغاجراكسة ، وسليمان أغا كتخدا شاويشان[٥] ، ومحمد أغا متفرقة وغيرهم من أمراء ، وجربجية ، وأوضا باشية ، وأنفار ، واتفقوا على قتال هؤلاء الطائفة ، وقتل // الأمير حسن أمير الصعيد .

ثم إن بعض العلماء أفتى بأنهم ينفون من هذه البلاد ، وأن أمر وكيل السلطان مطاع ، لاخلاف فيه ولا نزاع ، وكل من عاند يجوز قتاله ومحاربته ، وبعضهم أفتى بأنه لايجوز قتالهم ولا نفيهم ، فحصل الخلاف بين العلماء في الفتاوى بسبب اختلاف الأسئلة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وكل ذلك بقضاء الله وقدره ، وليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، فتثبت كل من الطائفتين على فتوى[٦] .

فأما أحمد أوضا باشا ومن تبعه ، فإنهم يقولون : لابد من نفى هؤلاء وقتل الأمير حسن ولو كان فيها ذهاب الأرواح .

---

(١) سبب تأييد خليل باشا لافرنج احمد ــ كما فى « تاريخ وقائع مصر » ص ١٢٣ ، الجبرتي جـ ١ ص ٣٩ ــ هو أن الينشرية خصوم افرنج أحمد الذين انضموا الى فرقة العــزب ، قطعوا الطريق الموصــل الى باب القلعة ، ومنعوا من يريد الطلوع الى باب النيشرية (أى الى افرنج أحمد ومن معه من المعسكر والأتباع) ثم خربوا السواقى التى تمد القلعة بالمــاء فانقطع عنها ، وكان ذلك فى ١٧ صفر سنة ١١٢٣ هـ .

(٢) جمليان : أحد أوجاقات الحامية العثمانية فى مصر . واللفظ تحريف عربى للفظ الفارسى « جنليان » وللفظ التركى « جنللو » . وهم نوع من الفرسان . (شفيق غربال ، ص ١٧ حاشية ١) .

(٣) تفكجيان : أحد أوجاقات الحامية العثمانية فى مصر ، وهو أوجاق حملة البنادق . ويكتب اللفظ أيضا « تفكشيان » وكلاهما تحريف عربى للفظ « تفنكجيان » (شفيق غربال ، ص ١٨) .

(٤) الاضافة من الجبرتى (جـ ١ ص ٤١) .

(٥) هو أوجاق الجاويشية .

(٦) فى الجبرتى (جـ ١ ص ٤٤) أن الجيش افترق فرقتين : فرقة تتكون من : بلوكات الاسباهية الثلاثة والجاويشية والعزب ويؤيدها الأمراء : ايواز بك أمير الحج ، وقيطاس بك الدفتردار ، وابراهيم بك أبو شنب ، وقانصوه بك ، وعثمان بك ، ومحمود بك (وهم خصوم أفرنج أحمــد وأيوب بك) والأخرى تتكون من : أغاوات الاسباهية من غير الأنفار ، ومحمد أغا متفرقة وأهل بلكه ، وسليمان أغا الكتخدا الجاويشية ، وبلك الينكجرية (الينشرية) بالقلعة ، والوالى العثمانى ، وهم المؤيدون لافرنج أحمد .

وأما الطائفة الأخرى فيقولون : لاننفى ، ولابد من عزل أحمد أوضا باشا ولو نموت عن آخرنا .

ثم لما كان يوم الخميس السادس والعشرون من شهر صفر الخير سنة ألف
١١ ومائة وثلاثة وعشرين ، طلع كل من الطائفتين بابه وأغلق//الأبواب ، وضربا على بعضهما بعضاً بالبندقيات والمدافع التى أدوت الأرض بالجلل العظام ، التى وزن كل واحدة منها خمسة أرطال إلى قنطار وشىء ، وصار أحمد أوضاباشا وجماعته يضربون المدافع على باب العزب ، وهم كذلك يضربون البندقيات على باب الينشرية ، وكان يوماً لم ير أهل مصر مثله ، وحصل لهم من الدهوة العظمى ما يكل عنه الواصف ، وأسقطت الحبالى من ضرب المدافع ، وماتت الأطفال والرجال ، وهُدمت البيوت من الجلل ، وقفلت أهل مصر الأزقا والحوانيت والدروب ، وصار الناس متحيرين أين يذهبون ، فضربوا في هذا اليوم نحو مائة مدفع ، وأما البندقيات فلا تعد ولا تحصى ؛ وكان ابتداء الضرب يوم الخميس وقت الضحوة الكبرى إلى غروب الشمس .

ثم لما كان يوم السبت ، ابتدؤا بالضرب يوماً كاملا ، فلا تسل عما
١٢ فعلت[1]// المدافع ، فإنها زلزلت الأرض ، وأفزعت القلوب ، وأدهشت العقول ، وزعقت النساء والأطفال ، واستغاثت إلى ربها بالدعاء على من كان سبباً لهذه الفتنة ، حتى أن الطير في السماء تحير ، والكلاب والدواب وغيرهم أصيب من الرصاص ، فاستمروا على ذلك الحال أياماً ثلاثة ، ثم بعد ذلك مشت الناس بينهم بالصلح مدة أيام عشرة ، فلم يرض كل منهما إلا بتنفيذ مراده .

---

(١) فى الهامش الأيسر لصفحة المخطوط أبيات من الشعر أواخرها ناقصة بسبب تشـذيب حوافى صفحات المخطوط بعد تجليده . والخط والحبر يختلفان عن خط المتن وحبره . ونص ما هو ظاهر فى النص : شعر .

يا نعمةَ الله حلِّى منجعنا
وجاورينا فتكته الـ
وجوارينا باكوا مر مـا
وَالسَّعْدُ يحيد منا نجذَ
وان أتى حـارٌ وكاذَ
فالله يحرسُنا ،

ثم إن الينشرية ركّبوا على جماعة العزب مدافع على ظهر الكسوة وعلى قصر يوسف وعلى الأبراج ؛ واحتاطت بالعزب المدافع فتترسوا بمتاريس تقيهم من المدافع ، فلما تضايقوا وحصل لهم هذا الكرب ، أرسلوا جماعة نحو مائة على باب الينشرية في المحجر فجلسوا فيه وتترسوا بمتاريس ، ورئيسهم باكير أوضا باشا // فلما رأوهم الينشرية ركّبوا مدافع على الباب ، ١٣
فلم يجسر أحد منهم [أن] يقربه ، وصاروا يضربون بعضهم بعضاً بالبندقيات آناء الليل وأطراف النهار ، لا يملون ولا يتعبون ، وليس الخبر كالعيان[1] .

ثم إن جماعة العزب تحيّلوا ليلاً حتى وصلوا إلى باب الينشرية ، وأخذوا معهم النفط والكبريت وأحرقوا الباب الأول ، لكن لم يقدر أحد [أن] يصل إلى الباب الثاني من المدافع والبندقيات ؛ ثم إنهم عينوا عسكراً لكل باب من أبوابهم ، ومنعوهم الطلوع والنزول ، وقطعوا عنهم المآكل والمشارب ، ولم يبق لهم طريق إلا باب الجبل ، وهو باب مطبخ الوزير .

فاستمروا على ذلك الحال أياماً ، والأمراء ، والعلماء ، والسادات ، تمشي بالصلح ، فلم يرض كل من الفريقين إلا بتنفيذ مراده وأبيا الصلح ، ومن أبي الصلح ندم .

فبرز للخصام الأمير // أيوب بك[2] ومن تبعه من الأغاوات المذكورة ١٤
مساعدين لطائفة الينشرية .

(١) يذكر الجبرتي (جـ ١ ص ٤٠) أن سكان الأحياء القريبة من القلعة ، مثل : الرميلة ، والحطابة ، والمحجر استولى عليهم الخوف ، فأخذوا ما أمكنهم من أمتعتهم وتركوا منازلهم وتفرقوا فى حارات القاهرة خوفا من هدم المنازل عليهم « وكان الأمر كما ظنوه ، فان غالبها هدم من المدافع واحترق ، والذى سلم منها حرقه عسكر طوائف الينكجرية (الينشرية) بالنار » . وفى «تاريخ وقائع مصر» (ص ١٢٥) أن « النساء من رمى المدافع على غفلة أرمت حملها ، وبعض صغار فرقعت مرارتهم وماتوا » .

(٢) كان أيوب بك يشغل منصب شيخ البلد فى ذلك الوقت . (تاريخ وقائع مصر ، ص ٧٣) . وأيوب بك جركسى الجنس ومن البيت الفقارى . تولى امرة الحج ومنصب الدفتردارية ومشيخة البلد عدة مرات . ولما انهزم فى هذه الفتنة هرب الى اسلامبول ومات بها سنة ١١٢٤هـ (١٧١٢م) . (الجبرتى ، جـ ١ ص ٩٨) .

وبرز الأمير قيطاس بيك ومن تبعه من الأمراء المذكورين للخصام مساعدين لطائفة العزب لأنهم وقعوا في عرضه واستندوا إليه ، كما أن الينشرية استندوا إلى الأمير أيوب بيك .

ثم إن الأمير قيطاس بيك أرسل إلى الأمير أيوب بيك مراسلة ، والآخر يرسل للآخر ، وهدد بعضهما بعضاً بالقتال والضرب ، فزاد الخصام بينهما وطال الكلام ، وتفاقم الأمر إلى أن جمع كل من الأميرين المذكورين جموعاً إلى أن صار بيت كل منهما ملآناً بالعساكر وآلات الحرب ، فتوجهت الناس إلى الأمير الكبير إيواز بيك[1] أمير الحاج الشريف ليمشى بينهما بالصلح ، فأجاب بالسمع والطاعة // وأرسل لهما مراسلات ، فلم يرض كل منهما إلاّ بتنفيذ مراده وأبيا الصلح ، ولم يحسبا عواقب الأمور ، وسلبهما الله العقل ، حتّى أنفذ فيهما القضاء المبرم الذى لا راد له ولا فرار منه ؛ ولقد أحسن من قال :

إذا أرَاد الله أمراً بامرئٍ[2] وكان ذا عقل وسمع وبصرْ
أصم أذنيه وأعمى عينه
وسل منه عقله سل الشعر
حتّى إذا أنفذ فيه حكمه
رَدّ إليه عقله ليعتبر
لا تقل فيما جرى كيف جرى
كل شيء بقضاء وقدر

ثم إن الأمير إيواز بيك ، حين ردت شفاعته ، اغتم غماً شديداً ، وكان في يقينه أنه لا ترد له شفاعة ، وصار في نفسه شيء من ذلك ، فراسل الأمير

(١) يذكره الجبرتى (جـ ١ ص ٩٤ — ٩٨) : ايواظ (بالظاء المنقوطة) ويقول ، ان أصل اسمه « عوض » فحرف باعوجاج التركية الى « ايواظ » لأن اللغة التركية ليس فيها حرف الضاد ، فأبدلت وحرفت بما سهل على لسانهم حتى صار « ايواظ » . وايواز بك زعيم البيت القاسمى فى عصره ، وهو جركسى الجنس . وقد تقلد الامارة بعد مقتل سيده مراد بك الدفتردار القاسمى سنة ١١٠٧ هـ . وتولى امرة الحج وامارة جدة عدة سنين . وكان يشغل منصب أمير الحج أثناء الفتنة . وقد قتل ايواز بك فى الفتنة كما يلى ص ٣٦٩

(٢) بالاصل : امرء .

أيوب بيك مرة ومرة فلم يقبل ، وأرسل له كلاماً لا يليق بمقامه فبرز للخصام ، ودخل المفسدون بالقال والقيل ، حتى صار كل منهما مصمماً على قتل الآخر ، وانضم إلى الأمير إيواز بيك : الأمير قيطاس بيك ، والأمير//إبراهيم بك[١]، ١٦
والأمير قانصوه بيك[٢]، والأمير عثمان بيك وجماعة هؤلاء الأمراء ، مثل : الأمير يوسف كاشف الجزار[٣] تابع الأمير إيواز بيك فارس المنايا والموت الأحمر ، بطل من الأبطال لا يخطر الموت له ببال ، ومثل الأمير محمد بك[٤] تابع الأمير قيطاس بيك ، لله دره من فارس ، وجماعة لا يحصون ، فصاروا جميعاً عصبة واحدة .

وكذلك الأمير أيوب بيك ، انضم إليه الأغاوات الثلاثة[٥] ، وهم : الأمير رضوان أغا ، والأمير عمر أغا ، والأمير أحمد أغا ، وسليمان أغا ،

---

(١) المقصود به ابراهيم بك أبو شنب .

(٢) كان قانصوه بك تابعا لقيطاس بك الكبير الدفتردار ومن البيت القاسمى ؛ وقد تقلد قانصوه بك الامارة بعد وفاة سيده سنة ١٠٩٦ هـ (١٦٨٤ م) ، وتولى الكشوفية عدة مرات فى بنى سويف والبحيرة . وكان أحد الأعيان والمشار اليهم فى البيت القاسمى . مات فى سنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥ م) . (الجبرتى جـ ١ ص ١١١) .

(٣) كان يوسف كاشف الجزار تابعا للأمير ايواظ بك . وتقلد الامارة بعد مقتل سيده ، وبعدانقضاء الفتنة تقلد منصب القائمقامية سنة ١١٢٦هـ . وقد شارك فى أحداث مصر حتى وفاته سنة ١١٣٤ هـ (١٧٢١ م) وقد سمى بالجزار لكثرة ما قتل من العرب أثناء حروبه معهم . (الجبرتى ، جـ ١ ص ١١٠) .

(٤) كان محمد بك كرجي الجنس . وقد قلده سيده قيطاس بك الامارة . وبعد الفتنة تقلد امرة الحج عدة مرات . ولما قتل الوالى قيطاس بك سنة ١١٢٦ هـ ، حاول محمد بك أن يثأر لمقتل سيده ولكنه فشل وهرب الى اسلامبول ، ثم عاد الى مصر فى سنة ١١٣٨ وتقلد منصب الدفتردارية. ولما عزل الوالى العثمانى باكير باشا تقلد محمد بك القائمقامية وذلك فى سنة ١١٤٣ ، وأصبح أعظم الأمراء وبيده الحل والعقد وظل مسموع الكلمة حتى قتل فى سنة ١١٤٨ هـ (١٧٣٥ م) (الجبرتى ، جـ ١ ص ١٤٩ ، ١٦٩) . ويعرف أيضا بمحمد بك الصغير وبمحمد بك قطامش . وقد أطلق عليه أصحابه لفظ « قطامش » على اسم رجل كان بمصر يبيع حلاوة عسل قصب ، وكان ينادى على بضاعته : قطامش داير فى البلد قطامش عراه الولد . (تاريخ وقائع مصر ، ص ٩٠) .

(٥) المعدود فى المتن ، خمسة أغاوات أمراء وغير أمراء .

ومحمد أغا متفرقة ، والأمير مصطفى بيك الشريف وغيرهم من جاويشية وجربجية وأنفار لا تعد ولا تحصى ، وصاروا عصبة واحدة .

وانفرق أهل مصر فرقتين[١] ، من أمراء ، وعلماء ، وأغاوات ، وعامة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

١٧ ثم إن الأمير أيوب بيك ما ساعه// إلاّ [أن] كتب مكتوباً للأمير محمد بيك أمير الصعيد[٢] مضمونه : « أن تجمع جموعاً من هوارة ، وعربان ، وفلاحين ، وأروام[٣] وجميع ما تقدر على جمعه من جميع الجنوس ، وتأتي إلينا سريعاً لمقاتلة هؤلاء الجماعة » ؛ وكتب له جميع ما جرى ، وخصوصاً لمقاتلة الأمير حسن أمير الصعيد « الذى أراد أن يعزلك ويولى الأمير محمد بيك تابع الأمير قيطاس بيك ويملك البلاد منك ، ويطيب له الوقت بعزلك » .

ومن تقدير الله سبحانه وتعالى وإرادته ، أن هوارة ليس بينهم وبين الأمير حسن محبة[٤] ، فلما وصل إليه الكتاب وأيضاً بصحبته بيردى من خليل باشا بإذن المجيء والحض على القتال لهؤلاء الجماعة ، أجاب بالسمع والطاعة ، خصوصاً لما رأى البيردى ، فبادر لجمع العربان والأوباش ،

---

(١) بالأصل : فرقتان .

(٢) كبير البيت الفقارى . وقد تقلد الامارة سنة ١١١٧ هـ . هرب بعد الفتنة الى اسلامبول ومات بها سنة ١١٣٣هـ (١٧٢٠م) . (الجبرتى ، جـ ١ ص ١١٢) .

(٣) الأروام ، والروم ، هم الأتراك العثمانيون . وكان المسلمون يطلقون على سكان آسيا الصغرى اسم « الروم » ولما استولى السلاجقة على هذه المنطقة أطلقوا عليهم اسم «سلاجقة الروم » تمييزا لهم عن سلاجقة العراق . وظل اسم «الروم» يطلق على سكان المنطقة حتى العصر العثمانى .

(٤) سبب ذلك ـ كما فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ٢١ ـ ٢٥) أن الأمير حسن اشترك فى حرب هوارة مع عبد الرحمن بك سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م) بالقرب من جرجا ثم فى فرشوط ، فانهزمت هوارة وفرت ولجأت الى « ولد العابد » فى الجبل ، ثم عادت الى بلادها بتدبير بعض الأمراء سنة ١١١٢ هـ .

١٨ وأرسل إلى الأمير يوسف أبوحمد شيخ هوارة[١]، والأمير // عمر بن عبد القادر
وأخبرهما بذلك ، فبادرا[٢] إلى جمع العربان ، من كل محلة ومكان ،
في أسرع مدة وزمان ، وبرزوا للخروج مع الأمير محمد بيك مريدين القتال ،
والنهب والسلب للحوائج والأموال ، وسوّل لهم الشيطان وغوى ، ولكل
امرىء ما نوى .

ثم إن الأمير محمد بيك أرسل كتاباً إلى الأمير أيوب بيك : « أنك تمسك
لنا جامع السلطان حسن ، وتجعل فيه العسكر لأجل القتال ، وضرب المدافع
من أعلاه على باب العزب ، فنقتلهم عن آخرهم في أسرع مدة » ، فأخذ
النجاب الكتاب ، وسبق الأمير محمد بيك ، وسار يقطع البرارى والقفار ،
والحصى والأحجار ، حتى وصل إلى الديار المحروسة ، حرسها الله وجعلها
دار الإسلام إلى يوم القيامة ، فقدر الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء ،
١٩ أن جماعة من العزب نظروا إلى هذا الرجل ، فبهت الرجل//وتحير في أمره
وارتاب وتغير لونه ، فمسكوه وسألوه وقالوا له : من أنت ومن أين
جئت ؟ فتلجلج في الكلام ، وقال : أنا من جماعة الأمير محمد بيك ، وجئت
من عنده أرسلني لمصالح . فعرفوا أنه أرسله بمراسلة ، ففتشوه فوجدوا
المكتوب ، فأخذوه منه وطلعوا به إلى باب العزب وأعرضوه على الإختيارية[٣]
ففضوا المكتوب وقرأوه وعلموا ما فيه ، فما ساعهم إلاّ المبادرة إلى [جامع]
السلطان حسن ، وكان قبل ذلك اليوم مغلوق الأبواب خوفاً من العبور فيه من
إحدى الطائفتين ، فأرسلوا جماعة نحو المائة للمجاورين القاطنين فيه فلم
يفتحوا لهم الأبواب ، فكسروا الباب القبلى ودخلوا محافظين لباب العزب ،

(١) لم يترجمه الجبرتى وانما ذكر أخباره على السنين . وقد ترجم الجبرتى ابنه هماماً فى ترجمة طويلة يستبين منها ما كان عليه همام وأبيه من مكانة عالية فى الوجه القبلى . (جـ ١ ص ٣٤٣) .

(٢) بالأصل : فبادر .

(٣) اختيار : جمعه اختيارية . وهم رؤساء أوجاقات الحامية العثمانية فى مصر ، وهم أيضا المسنون من رجاله ، واقدمهم « الباش اختيار » . وهم كذلك من أرباب الديوان العمومى ، يحضرون فى كل ديوان (اجتماع) لتحصيل الأموال الأميرية (شفيق غربال ، ص ١٨ حاشية ١) .

وأخذوا معهم آلات الحرب من بندقيات وزربطانات[1] ، وركبوا المدافع
٢٠ العظام على الأسطحة من كل جهة فصار حصناً حصيناً ، ولم يقدر أحد //[أن] يأتي إليه . ثم إنهم أخرجوا القاطنين من أماكنهم جميعاً ، وازداد العسكر حتى صار في الجامع نحو ثلاثمائة ، ورئيسهم الأمير محمد بيك تابع الأمير قيطاس بيك .

فلما علم الأمير أيوب بيك بذلك ، اغتم غماً شديداً وكذلك أحمد أوضاباشا كاد أن ينفلق من الغم ، لأن جامع السلطان حسن مسامت للقلعة وأمتن منها ، ولكن الحذر لا ينفع من المقدر .

ثم إن إفرنج أحمد أوضاباشا ركّب المدافع على البرج الكبير[2] وعلى قصر يوسف ، وصار يرمى بهم ليلاً ونهاراً على الجامع والمنارة ، وكذلك الذين في الجامع يرمون البندقيات من المنارة والمدافع من السطوح على باب الينشرية ومن في قصر يوسف ، حتى أدوت الأرض وتزلزلت ، وصار كل مدفع
٢١ يزلزل البيت العظيم والأماكن الماتنة[3]//البناء ، وأيضاً سلط الله عليهم الرعد والبرق والمطر الشديد ثلاثة أيام بلياليها واشتبه بالمدافع لشدته ، وكان رعداً وبرقاً لم تسمع وتنظر الناس مثله . هذا ما كان من هؤلاء .

وأما ما كان من الأمير محمد بيك [أمير الصعيد] فإنه سار وصحبته نحو عشرة آلاف نفس ، ما بين خيالة ومشاة وشجعان وفرسان ، بعضهم في البر وبعضهم في البحر ، وصحب معه المراكب المملوءة بالشعير والتبن لأجل العليق نحو خمسين أو أكثر ، حتى وصل إلى مصر السعيدة[4] ، فنصب

---

(١) زربطانات : جمع زربطانة ، وهى نوع من السلاح .
(٢) هو أحد أبراج القلعة ، وقد بناه الظاهر بيبرس .
(٣) هكذا بالأصل ، ويقصد المؤلف ، الأماكن المتينة البناء .
(٤) فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١٢٦) ، أن محمد بك أمير الصعيد أغار على أخميم وهو فى طريقه الى القاهرة ، فنبهها هو ورجاله « الى أن خلوها قرعة من غير بنـــاء » وأنهم ظلوا بها ثلاثة أيام ، ثم رحلوا عنها الى القاهرة فى اليوم الرابع . أما الجبرتى (جـ ١ ص ٤٦ — ٤٧) فانه يذكر أن محمد بك أغار على أخميم بعد فراره من القاهرة بعد أن حلت به الهزيمة .

الخيام في البساتين[١] والأثر[٢] ، وملأوا القرافة ومصر العتيقة ودير الطين ، وتضايقت الأرض منهم ، فتوجه إلى الأمير أيوب بيك فتلقاه بأحسن اللقاء ، وجلس يتحدث معه في شأن هؤلاء وما يجرى معهم ، وقال : ما فاتنا إلا أخذ الجامع ، فقال له : ما يكون إلاّ ما يريد ، واتفقا على القتال والمحاربة ؛
وركب من عنده//وتوجه إلى القلعة ، فقابل الوزير خليل باشا ، فقابله بالقبول ٢٢
والإكرام ، وأمده بالنفس[٣] ، وقال له : أريد[٤] [أن] أفعل [٥] وأناهك[٦] في قتال هؤلاء الجماعة الذين خالفوا قولى ولم يرضوا بحكمى ، فخرج من عنده وتوجه إلى باب الينشرية ، فاجتمع بأحمد أوضاباشا والعسكر المجتمعين عنده ، فقابلوه أحسن قبول ، وأكرموه غاية الإكرام ، وكان قدومه عليهم مثل يوم العيد ، لأنه صحب معه إلى بابهم نحو ثلاثمائة ضارب بالنار ، فلما دخلوا هؤلاء قالوا : دعونا ننظر لباب العزب ، فتوجهوا بهم إلى محل الرمى فضربوا طلقاً مرة واحدة وكذلك المدافع ، فدوت الأرض من ذلك الطلق ، وظنت الناس أن القيامة قامت ، فبادرهم العزب بالرمى من بابهم كذلك ، فقتلوا منهم كثيراً .

فاستمروا على ذلك الحال أياماً ، وهم يرمون على بعضهم بعضاً آناء
الليل وأطراف النهار// بالمدافع والبندقيات ، فتعبوا وملوا ، وضاقت صدورهم ٢٣
وتحيرت نفوسهم ، وانحرقت كبودهم ، فتحيلوا على بعضهم بعضاً بنقب الحيطان والأسوار ، لأجل الوصول إلى بعضهم بعضاً ، فنقبوا الجدران ، وهدموا البنيان ، وحرقوا المنازل التى بين البابين بما فيها من الأمتعة ، وصار بينهما طريق ، لكن لم يقدر أحد [أن] يصل إلى أحد من المدافع والرجال

---

(١) قرية تقع قبلى شرقى مصر القديمة . (الخطط التوفيقية ، ج ٣ ص ٧١) .

(٢) هو المكان المعروف بـ « أثر النبى » بمصر القديمة .

(٣) أى يمده بالتأييد .

(٤) بالأصل : تريد .

(٥) مكان هذا اللفظ بالأصل لفظ مطموس بالحبر ، وقد اخترنا هذا اللفظ لأنه قريب من رسم اللفظ المطموس .

(٦) أناهك : أى اشتد . ففى مختار الصحاح (مادة نهك) : نهكه السلطان عقوبة ، أى بالغ فى عقوبته .

المحافظين على ذلك النقب من كل منهما ؛ ثم إن الينشرية غافلوا العزب وهجموا عليهم ، فما شعروا إلا بمدفع خرج عليهم فقتل منهم كثيراً ، ومنعهم عن الوصول إليهم ، وتسمى هذه الواقعة وقعة البدرم[1] ، والبدرم إسم لمحل بين البابين .

ثم إن الأمير محمد بيك أمير الصعيد ، لما رأى هذا الفعل ، وأن العزب في غاية من الشدة والقوة ، وأنه لم يقدر يصل إليهم من البدرم ، دبر في نفسه
٢٤ تدبيراً ، ونزل من قلعة الجبل وأخذ الرماة معه // وتوجه إلى باب القرافة ، ففرق الجيوش والعساكر : فرقة في الصليبة ، وفرقة في سبيل المؤمنين ، وفرقة في بيت اقبردى[2] ، فتفرقوا كما أمرهم في أسرع وقت وترسوا بمتاريس ، وأرادوا أن يهجموا على باب العزب ليلاً من تلك الجهات ، وأحمد أوضا باشا ومن معه بجماعة من البدرم والمحجر ويأخذونهم مواسطة .

فلما علموا بذلك العزب ، وجهوا طائفة في بيت الأمير أحمد جربجى ابن الخضرى ، وصحبتهم المدافع والبندقيات ، وجماعة في وكالة المزاريق المجاورة للسلطان حسن ، وجماعة في جامع محمود باشا الذى تجاه باب العزب وجماعة في جامع أمير أخور[3] كذلك .

فلما عاين بعضهم بعضاً هذا الحال ، ماساعهم إلا الصبر إلى الليل ، فلما أتي الليل بسواده وتولى النهار ببياضه ، ضرب الأمير محمد بيك [أمير الصعيد]

---

(١) يذكر الجبرتى هذا المكان باسم « البذرم » (بالذال المنقوطة) . ويصف المعركة فيقول : « هجمت اليلكجرية (الينشرية) من البذرم على باب العزب ومعهم محمد بيك الكبير وكتخدا الباشا وافرنج أحمد ، فعندما نزل أولهم من البذرم —وكان العزب قد أعدوا فى الزاوية التى تحت قصر يوسف مدفعين ملآنين بالرش والفلوس الجدد — فضربوا عليهم ، فوقع محمد أغا سركدك والبيرقدار وانفار منهم فولوا منهزمين يطأ بعضهم بعضا ، فأخذت العزب رؤوس المقتولين فأرسلوها الى قانصوه بيك » . (جـ ١ ص ٤٤) .

(٢) يقع بيت آقبردى فى حى الرميلة . (الجبرتى ، جـ ١ ص ٤٠) .

(٣) أمير آخور : كلمة مركبة من لفظين ، أحدهما عربى وهو «أمير» ، والآخر فارسى ، وهو « آخور » ومعناه « المعلَف » ، فالمعنى « أمير المعلف » لأنه المتولى لأمر دواب السلطان وأهم أمور المعلف . (صبح الأعشى ، جـ ٥ ص ٤٦١) .

المدافع — وهى على الأعجال — من الجهات المذكورة على باب العَزَب ليهدمه // أو يحرقه على من فيه من العسكر ، وكذلك أحمد أوضا باشا ضرب المدافع ٢٥
من الأبراج وظهر الكسوة ، وكذلك العزب ضربت عليهم من [جامع] السلطان حسن ومن الأماكن المذكورة ومن المحجر ، فانطبق الجو بالدخان من ضرب المدافع والبندقيات ، وصارت ذخيرة المدافع تنور الجو مثل البرق وكانت ليلة مشئومة على أهل مصر ، حتى ظننا أن الأرض تنخسف بنا ، فيالها من ليلة ما أصعبها وأشدها ، فقتل من هوارة في تلك الليلة خلق كثير ، ومن وقع في الرميلة صار ملقى في الأرض لا يجسر أحد يأخذه من الرصاص والجلل ، وصار القتلى في الرميلة أياماً ، ولم يحصل لباب العزب ضرر من المدافع والبندقيات في تلك الليلة ، لكن ضرب مدفع من جهة القرافة ، فهشم شباكاً نحاساً من جامع محمود باشا وأصاب بابه مدفع فأرمى منه أحجاراً ، وأصاب المنارة مدفع فخرقها // وكسر بعض دورها ؛ وأصاب مدفع جامع أمير آخور فأرمى منه أحجاراً . وأما الجلل التى تقع في باب العزب ، فلا تسل ٢٦
عما فعلت .

ثم إن الفرقة التى في [جامع] السلطان حسن ، ركّبوا المدافع ورموها على الفرقة التى في بيت اقبردى بالجلل العظام ، فخرجوا من ذلك المحل — ولم يبق لهم أثر — إلى بيت الأمير يوسف أغا بالمدافع ، فخرجوا منه أيضاً وولوا هاربين ، وفاز من خرج ، وقتل من ولج .

ثم إن الأمير محمد بيك ضاق صدره وعيل صبره ، فما ساعة إلا التحيل بحيل تحير الفكر ، وصار يخرج كل يوم في صفة لاتشبه الأخرى ، وأمر بنقب البيوت من بعضها لبعض حتى أخلى[1] طريقاً من داخل البيوت ليمشى فيها هو ومن معه خوفاً من الرصاص والجلل ، فنقبوا البيوت على أهلها ، وهجت الناس منها ، ونهبت الأمتعة من المنازل والحوانيت والوكائل ، وأصيبت الناس بمصائب لم تر // مثلها ، وخرجت النساء المصونات المحجبات ٢٧
من بيوتهن مكشفات الوجوه على الرجال من الدهوة التى أصابتهن حال دخول الرجال عليهن ، ولم يقدر أحد يتكلم ويقول بيتى ومتاعى وحريمى ، فإنا لله

(١) بالأصل : اخلا .

وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؛ فما ساع الناس إلا الصبر على ما أصابهم ، وشكت الناس إلى ربها واستغاثت برفع هذه الشدة والبلية ، متوسلين بالمصطفى خير البرية . ولقد أحسن من قال :

دع المقادير تجرى في أعنتها   ولا تبيتن إلا خالى البال
ما بين طرفة عين وانتباهتها   يغير الدهر[1] من حال إلى حال

كان الناس في أمن وعزة وأمان ، فذل العزيز وخاف الشريف وظهر اللئيم وبان ؛ وكان الناس في نزهة وأفراح ، ولعب وحظ وانشراح ، وطاب لهم الوقت والزمان ، ومصرنا المحروسة تشبه الجنان ، من مآكل ومشارب ،
٢٨ وملابس ومراكب ، ورخاء قد عم البلاد ، ونزهة لسائر العباد // فبطرنا وأخذنا في المعاصى ، ولم نتذكر يوم أخذ للنواصى ، وكل ذلك من أمور ارتكبناها ، وأمور ابتدعناها ، فجوزينا بذلك ، فالله يفرج عنا هذه المهالك ؛ وقد أحسن وأجاد من قال :

إذا كنتَ في نعمَــة فارعَها   فإن المعاصى تزيل النعم
وداوم عليــها بشكر الإلــه   فإن الإله سريع النقــم

فاستمر الحال على ذلك آناء الليل وأطراف النهار ، لايملون ولا ينامون ولا يتعبون ؛ وجرى بينهم أبو مرة اللعين ووسوس لهم ، وزين لهم الدنيا وأنساهم الأخرى ، وصار كل من الفريقين يقول : لا أرجع إلا ببلوغ مرادى ، ولو كان فيه ذهاب مالى وأولادى ، وكل ذلك من عدم رئيس يرشدهم وعالم يزجرهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ولما اشتد الحال على الأمير محمد بيك [أمير الصعيد] ولم يجد له سبيلا
٢٩ إلى الوصول إليهم بوجه من الوجوه ، دبر في نفسه أن يرسل//عسكراً في المساجد التى في الشارع ، لأجل قطع المآكل والمشارب التى تأتي إلى العساكر التى في [جامع] السلطان حسن وباب العزب ، فشاع الخبر بذلك ، فبادر

---

(١) المشهور : يغير الله .

العزب إلى تلك المساجد ، وأرسلوا عسكراً لجامع الجاى اليوسفى الكائن في سويقة العزّى(١) نحو المائة ، فجلسوا في المسجد محافظين لتسليك الطريق ، ووجهوا جماعة لجامع المارداني فجلسوا فيه محافظين ومعهم المدافع والبندقيات ، فمنعوا الناس من الصلاة ، وتعطلت الجمعة والجماعة ، وكل ذلك دليل على اقتراب الساعة ، فبادر الناس إلى الخروج من المنازل ، وخلت الحوانيت والوكايل ، وصار أهل سويقة العزى لا يدرون أين يذهبون ، ولا إلى أى طريق يخرجون ، فاشتد الكرب على أهل تلك المحلة ، وصار الناس في البيوت جملة جملة .

وقد أعمى الله العزب عن أخذ مسجد الأمير سودون — وهو بين [جامع]
المارداني و [جامع] الجاى // اليوسفى(٢) — ولم يخطر لهم ببال أن الينشرية ٣٠
ينزلون فيه للقتال ، فبادرت الينشرية ليلاً نحو المائة إليه ، وأصبحوا جميعاً حواليه ، فلما أصبح الصباح ، جاءتهم الأخبار أن الينشرية جاءت إليكم ومعهم آلات النار ، فتحيروا لما سمعوا هذا الكلام ، وتيقنوا بطردهم جاءت إليكم ومعهم آلات النار ، فتحيروا لما سمعوا هذا الكلام ، وتيقنوا بطردهم ورحيلهم عن ذلك المقام ، فترس كل منهم بمتاريس ، وظهر مهاقيت الوقت والمعاكيس ، فبادرت الرجال على بعضها بالقتال ، فطلقوا البندقيات من أعلى الأسطحة والمنارات ، ومنعت الناس من المآكل والمشارب وصاروا في أشد المتاعب ، فاستمروا على ذلك ثلاثة أيام ، وفقدت الناس لذيذ المنام ، ولا يجدون طريقاً يخرجون منها ، واتفق أهل المحلة على الرحيل عنها .

---

(١) سويقة العزّى : سمى هذا المكان بهذا الاسم نسبة للأمير عز الدين أيبك العزى نقيب الجيش أيام الملك الأشرف خليل بن قلاون (٦٨٩ — ٦٩٣ هـ = ١٢٩٠ — ١٢٩٣ م) . ويحدد على مبارك باشا فى (الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ص ١٠٥) مكان السويقة فى أيامه فيقول : ان شارع سويقة العزى يبدأ من تقابل شارع جامع أصلان بنهاية شارع الدرب الأحمر ، وآخره شارع سوق السلاح .

(٢) بالأصل : الجاى اليوسف . والتصويب من النص نفسه فيما يلى ومن الجبرتى (جـ ١ ص ١٩) .

ثم إن العسكر الذين في [جامع] السلطان حسن نزلوا بجماعة نحو المائة
٣١ ومعهم بيرق ، ورئيسهم صالح أغا يساعدون//العسكر الذين في جامع الحاج اليوسفى ، فجاء لهم الخبر أيضاً ، أن جماعة من الينشرية ومحمد بيك قد ملأوا بيت مصطفى بيك الشريف نحو ثلاثمائة ، وصحبتهم الأمير أحمد أغا تفكجيان بعساكر وجنود لاتعد ولاتحصى ، وذلك البيت تجاه المسجد المذكور من داخل الدرب المجاور لحوض الماء ، فتضايق العزب غاية الضيق وانحصروا غاية الحصر ، ولم يبق لهم طريق يأتيهم الزاد منها .

وأما الرعية فلا تسل عما حصل لهم من الحصر .

ثم إن العزب أخذوا في تدبير وتحيل كيف يصنعون ، فاتفق رأيهم على نقب البيوت والهجم عليهم ، ، فنقبوا دكان صانع تجاه الجامع المذكور ، ودخلوا إلى بيت الأمير أحمد أفندى كاتب الجراكسة ، إلى بيت الأمير إيواز بيك ، إلى بيت الأمير مصطفى بيك الشريف ابن المرحوم إيواز بيك ،
٣٢ وتعالوا عليهم وضربوهم // بالنار ، وهم كذلك بادروهم بالرمى من أعلى الأسطحة ؛ وكان يوماً مشهوداً شديداً على أهل المحلة ، فلا تسل عما قاست الأطفال ، والنساء والشباب والرجال ، ودكسوا على بعضهم بعضا ، فولى الأمير محمد بيك وكذلك [١] الأمير أحمد أغا ، وخرجوا من البيت وطردوا ولم يبق لهم أثر ، ونهب بيت الأمير مصطفى بيك الشريف ، فلم يبق فيه شئ حتى الرخام والقيشاني قلعوه من الأرض والحيطان ، ثم إنهم كسروهم أيضاً إلى بيت محمد أغا متفرقة ، فلما رأت الينشرية ، العزبَ ظافرين عليهم حرقوا بيتاً بيتاً بينهم ، فطارت النار في السقف والدكاكين والبيوت في ذلك النهار ، ونهبت البيوت بقوصون وانحرقت ، [ونهبت] النساء والأطفال والرجال والأمتعة والحوانيت وانهدمت ، وتهتكت الحرائر ، وانكشفت السرائر ، وأيست الناس من الحياة ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ؛ وانحرق في ذلك اليوم بيت المرحوم محمد كتخدا بيرقدار[٢] والربع المجاور له//

(١) بالأصل : وكذالك .
(٢) بالأصل : بارقدار ، والبيرقدار ، كلمة فارسية مركبة من لفظين الأول : بيرق ، وهو الراية أو العلم . و « دار » ، ومعناه ، صاحب . فالمعنى ، صاحب الراية أو العلم ، أى حامل الراية والعلم . (المعجم فى اللغة الفارسية) .

وبيوت كثيرة ، وحوانيت شهيرة ، فاستمر الحرق ليلاً ونهاراً عشرة أيام ٣٣
لايقدرون على إطفاء النار ، من كثرة الرصاص النازل على تلك الديار . ثم إن الفريقين تترسوا بمتاريس ، ورموا بعضهم بعضاً بالبندقيات ، وذلك حظ إبليس . ثم توجهت فرقة إلى العسكر الذى في جامع سودون زاده فرموا عليهم بالنار ، فلم يقر لهم قرار ، ولم يبق لهم آثار ، فانفتحت الطريق ، وجاء الفرج بعد الضيق[1] ، ولله در من قال :

إذا جار الزمان عليك فاصبر   فإن الصبر أحسن ما يكون
وإن اليسر يأتي بعد عسر   وما من شدة إلا تهون

ثم إن الينشرية لما رأوا أنفسهم طردوا من هذين المحلين ، أيسوا من الحياة وأيقنوا بوقوع الحين . ثم إنهم كانوا — أى الينشرية — أخذوا أيضاً جامع قجماس[2] ، فانزعجت منهم سائر الناس ، وكان رئيسهم الأمير عمر أغا جراكسة ، فحطم عليهم العزب حطمة أسوده ، فشتتوا عسكره وجنوده//
وأيضاً أخذوا جامع المؤيد بباب زويله ، وأخذوا جامع اسكندر بباب الخرق[3] ٣٤
فتضايقت منهم سائر الخلق وكان رئيسهم كتخدا الجاويشية ، فأصبحت الناس منهم في دهشة وبلية ، وركبوا المدافع على تلك المساجد ، وامتنع منها الراكع والساجد ، ومنعوا الناس من المرور ، وكل ذلك من الجور والفجور ، فدكست العزب عليهم دكسة ، فشتتوا من تلك المحلات ، وانفتحت السكك والطرقات ، وجلسوا في المساجد محافظين لتلك الطرق الموصلة[4] للسلطان حسن وباب العزب ، فباعت الناس واشترت ، ومشت الخلق إلى بولاق ، وأتت بالمياه العذبة ، لأنهم منعوا من الدخول والخروج ، ووصل ثمن الجرة من الماء العذبة نصف فضة ؛ ولقد أحسن من قال :

وكم ليلة بت في كربة   يكاد الرضيع لها أن يشيب
فما أصبح الصبح حتى أتي   نصر من الله وفتح قريب

(١) بالأصل : المضيق .
(٢) بالأصل : قسماس . والتصويب من الجبرتى ، جـ ١ ص ٤٠ ؛ الخطط التوفيقية ، جـ ٢ ص ٩٩
(٣) باب الخرق : هو الحى المعروف اليوم بباب الخلق .
(٤) بالأصل : الموسلة .

٣٥ فاستمروا على ذلك الحال ، والنمامون يمشون // بالقيل والقال ، فاجتمع الأمراء وتشاوروا كيف السبيل إلى دفع هذا الفساد ، ورفع هذه الفتنة التى أضرت بالعباد ، فاتفق رأيهم أنهم يولون رجلا باشا على الأوضا باشية غير إفرنج أحمد أوضا باشا وعبد الله أوضاباشا ويجعلون الإثنين جربجية أو ينفونهما من مصر المحمية ، لعل الله أن يرفع هذه البلية ، فأرسلوا مكاتبة إلى الأمير أيوب بيك ، مضمونها بعد التعظيم والتبجيل اللائق به : إرحم أولادك وعيالك وسائر الرعية ، وكن معنا على إطفاء هذه النار ، بنفى الرجلين المذكورين من هذه الديار ، والثمانية المنفيون يكونون على حالهم مفرقين في الأجاقات ، ونضمن لهم سائر التعلقات . فلما وصل إليه الكتاب ، وفهم مضمون الخطاب ، بادر بالجواب ، وقال : لابد من نفى الثمانية وقتل وقتل الأمير[1] ، وإفرنج أحمد [أوضا] باشا على حاله وأخذنا بذلك خطأ من الوزير ، غير هذا لانقول ، ولا نحول عنه ولا نزول . فشاع الخبر //
٣٦ بذلك الكلام ، بين الأمراء وعلماء الإسلام ، فاشتد الخصام بين الفئتين ، وزادت الفتنة بين الفريقين .

ثم إن الأمير إيواز بيك جمع الأمراء والعلماء والأعلام ، وأرباب الدولة والأقلام ، وقال لهم : ما تقولون في هذه الفتنة ، والبلية والمحنة ، فقصدنا [أن] تكونوا[2] معنا في رفع هذا الفساد ، الذى أضر العباد والبلاد ؛ وما تقولون في شأن هذا الوزير ، الذى ليس عنده رأى ولا تدبير ، بميله مع طائفة وترك الأخرى ، ويظن أن ذلك هو الأحرى ؛ وما تقولون في شأن الأمير محمد بيك الذى هو متعلق بالغلال[3] ، فترك ذلك وجاء للقتال ، وصحب معه الأتراك والعربان ، وأتي لخراب بلاد السلطان ، وظلم العباد والبلاد ، وقصدنا ومرادنا رفع العناد ؟ فاتفق رأى الأمراء والعلماء في أمر الوزير على العزل ، ولم يصر له عندهم عقد ولا حل ، ومحاربة محمد

(١) المقصود به الأمير حسن حاكم اخميم المتقدم ذكره .
(٢) بالأصل أ تكونونا .
(٣) اى المسئول عن ارسال غلال الصعيد الى القاهرة بحكم وظيفته حاكما على الصعيد .

بيك أمير الصعيد ، فقالوا كلهم هذا رأى سديد // فعقدوا عقد المبايعة على ٣٧
تولية الأمير قانصوه بيك ، وأن يكون قائمقام الوزير ، وأن يكون له الأمر والتدبير ، وولوا لكل بلك أغا ، وعزلوا الأغاوات المتوليين ، واتفقوا أن يكونوا رجلاً واحداً على قتال محمد بيك ومن معه من الجيوش والعربان .

ولقد كان هؤلاء الأمراء من العز في غايه ، ومن التنعم والتنزه والتفكه في في نهاية ، والتلذذ بأنواع المآكل الفاخرة ، والملابس الباهرة ، والخيول المسومة ، والجوارى المنعمة ، والمياه الجارية ، والجنائن والبساتين الحاوية ، لسائر الأزهار ، والفواكه والأثمار ، وكثرة الخدم والحشم ، فلم يراعوا هذه النعم ، وقالوا إن الأمير إيواز بيك لم [يكن] يعرف عدد مماليكه ولا أسماءهم إلا المقرب عنده ، [كانوا] يفوقون عساكر الدنيا ، وليس لهم نظير في الملابس والرؤية ، شأنهم إطعام الطعام ، وبيوتهم مفتحة للخاص والعام ، فصادفتهم العين ، ووقع الخلف بينهم وصاروا فرقتين ، وغرتهم
الدنيا فأوقعتهم في الذل والهوان // والمتاعب والخسران ، وشأنها ودأبها هذه ٣٨
الفعال ، ولقد أحسن وأجاد من قال :

سألت عن الدنيا الدنية قيل لى
هى الدار فيها الدائرات تدور
إن أضحكت أبكت وإن أحسنت أساءت(١)
وإن عدلت يوماً فسوف تجور

ولما كان يوم الاثنين خامس عشر ربيع الثاني من السنة المذكورة ، خرج الكبير إيوازبيك أمير الحاج الشريف ، بعد [أن] جمع عساكر وجنود وأعطاهم الأموال ، وصار يعطى لكل شخص ما بين عشرة ذهب إلى خمسة كل أحد وما يناسبه ، فانقادت له الجيوش والأبطال ، والفرسان والرجال ، لا تعد ولا تحصى ، من جراكسة ، وتفكشية ، وجملية ، وجاويشية ، ومتفرقة ، ويلضاشات(٢) وأنفار وغير ذلك ، إلى ملاقات

(١) بالأصل : است .

(٢) يلضاشات : جمع يلضاش . وهو لفظ تركى صحة كتابته ، يولداش ، وهو التابع أو الجندى من الانكشارية . (شفيق غربال ، ص ٢١ حاشية ٢) .

الأمير محمد بيك وقتاله ؛ وكذلك الأمير محمد بيك خرج لقتال الأمير إيواز بيك ومن معه ، وكل من الأميرين صحب المدافع والجللل العظام ، والبندقيات والأخشات[١] التى من الفولاذ ، فصحب الأمير إيواز بيك ،
٣٩ الأمير ابراهيم بيك // أبو شنب ، والأمير قيطاس بيك ، والأمير عثمان بيك ، والأمير قانصوه بيك قائم مقام ، والأمير ابراهيم بيك الوالى ، والأمير محمد بيك تابع الأمير قيطاس بيك ، والأمير مصطفى أغا جراكسة — الذى ولاه الأمير إيواز بيك — وكذلك الأمير صالح أغا كوملیان ، وكثير من اسباهية وجربجية ومن تبعهم من مماليك ، وقواصة ، وسياس وغير ذلك .

وتبع الأمير محمد بيك [أمير الصعيد] الأمير أيوب بيك وجميع هوارة والأمير رضوان أغا كوملیان ، والأمير أحمد أغا تفكجيان ، والأمير عمر أغا جراكسة ، والأمير محمد أغا متفرقة ، لله دره من فارس ، بطل من الأبطال ليس له نظير في رمى الجريد والنشاب ، رمى بقوسه نبلاً فوضعوا محل الوقوع علامة وصار الرماة المشهورة ترمى فلم يصل نبلهم تلك العلامة ، والأمير سليمان كتخدا الجاويشية ، وخلائق لا تعد ولا تحصى من مماليكهم
٤٠ وخدمهم ، وخرجوا[٢] كالجراد المنتشر بالبيارق[٣] // والأعلام ، فخرج الأمير إيواز بيك من جهة بولاق ، والأمير محمد بيك [أمير الصعيد] من جهة الأثر[٤] ، وسار العسكر إلى أن بانت البيارق والأعلام ، فضربوا المدافع

---

(١) الأخشات : جمع خشت . نوع من السلاح . فالخشت باللغة التركية ، هو المزراق أو الحربة . (قاموس رفيق عثمانى) وبالفارسية : هراوة ذات أربعة جوانب . (المعجم فى اللغة الفارسية) .

(٢) بالأصل : وخرجا .

(٣) فى هامش صفحة المخطوط عبارات أواخرها ناقصة بسبب تشذيب صفحات المخطوط بعد تجليده ، وهى عبارات معظمها يعسر اثباتها لصعوبة قراءتها ، والمقروء منها : « سيذكر فيه » ، « وهو منسوب » ، « دلر الله عنه لبز » ، « توقى بنا الأيام » ، « ولا تبع فلهن يعو » ، « ولا تخوفه يد او » ، « وقربك السلطان » ، « ثلاث وخمس ثم ثا » ، « ومن بعدها يأصا » ، والحادى والعشرون » ، « والرابع والعشرين » ، « رايناه من بحر العلم » ، « عن ابن عم » ، « انتقل هذا الكتاب » ، « فدان الى يد احمد » . وهذه العبارات مكتوبة بحبر وخط يخالفان حبر وخط المتن .

(٤) اى المنطقة المعروفة بـ « أثر النبى » . وفى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١٣٨) . أن المعركة كانت فى « الرملة » بين قصر العينى والروضة .

والبندقيات حتى أظلمت الأرض من الدخان ، والجلل تعيط في الهواء مثل الرعد القاصف ، وكان يوماً شديد الحر ، وقبض الله الريح ذلك النهار ، وتزلزلت الأرض من ضرب المدافع .

ثم إنهم نزلوا في حومة الميدان ، وزعقت الفرسان على الفرسان ، بالقول أين الشجعان أين الفرسان ؟ ، ودكسوا على بعضهم بعضاً دكسة فأطيحت منهم الرقاب ، ووقعت منهم الشباب ، وتعفرت الوجوه الحسان بالتراب ، وصار هذا ملقى على وجهه ، وهذا على ظهره ، وهذا على جنبه ،وهذا تطؤه[1] الخيل والرجال ، فازداد الجو بالغبار والدخان ، وزعقت الفرسان ، وحملت على بعضهم بعضاً ، فشخصت الأحداق ، وتطاولت الأعناق ، وضاق الخناق ، وكلت//السيوف والرجال ، والخيل من الركض في الرمال . ٤٠

ثم إن الأمير الكبير إيواز بيك زعق على الفرسان ، وحثهم على النزول في حومة الميدان ، وقال لهم : الشجاعة صبر ساعة ، ومن ثبت[ظفر] [2] ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ولكل أجل كتاب ، ومن مات منكم مات شهيداً ، لأنكم تقاتلون هؤلاء العربان الذين أفسدوا البر والبحر ، وجاءوا لنهب مصر ، فنزل الأمير محمد بيك تابع الأمير قيطاس بيك ، وكذلك الأمير عثمان بيك ، والأمير يوسف كاشف الجزار في حومة الميدان ، وقاتلوا قتال الجبابرة .

وكذلك الأمير محمد بيك أمير الصعيد ، قاتل فيهم قتال الأكاسرة .

ثم إن الأمير إيواز بيك ، رأى من بعض عسكره بروداً عن القتال ، فجرد سيفه ، وأطلق عنان جواده ، ونزل في حومة الميدان ليراه العسكر المذكورون فتقوى قلوبهم على القتال ، فلما رأى الأمير يوسف كاشف
الجزار تابع الأمير الكبير //إيواز بيك وجميع الأمراء المتقدم ذكرهم هذا ٤١
الأمير نزل للحرب والقتال ، قبلوا أياديه الكرام ، وقالو له : نحن نفديك

(١) بالأصل : تطاؤه .
(٢) مكان اللفظ فى الأصل مطموس ، ولعله « ظفر » وبه يستقيم المعنى .

بالأرواح فلا تقاتل أنت ، ونطلب منك أن تمدنا بالنفس ، وها نحن بين يديك نقاتل حتّى نقتل عن آخرنا ، فشكرهم على ذلك وتأخر عن القتال ، فنزل الشجعان لحومة الميدان ، ودكس الأمير يوسف والأمير محمد بيك والأمير عثمان بيك دكسة أدهشت العقول ؛ وكذلك الأمير محمد بيك قاتل قتالاً شديداً حتّى حير الناظرين، وهو لابس زرخين[1] وخوذة وذراعين ، وقيل إنه كان لابساً جلد تمساح ، ودكس عليهم دكسة فكسرهم وتقهقروا إلى وراء ، فلما رأى الأمير إيواز بيك انهزام جماعته ساءه ذلك واغتم غماً شديداً .

وأما الأمير محمد بيك كمن كموناً بالسرعة والعجلة في الأماكن الخربة والجنائن ، كل كمين[2] نحو خمسمائة ، وقال لهم : متى تنظروا جماعة
٤٣ الأمير إيواز بيك//نزلوا في حومة الميدان فتأخذونهم من خلف وأنا ومن معى من أمام فنأخذهم مواسطة ، فتفرقوا في أسرع وقت ، وكمنوا في أماكنهم .

ثم إن الأمير إيواز بيك زعق على الرجال ، ونادى بالحرب والقتال ، فنزل الشجعان والفرسان قاصدين الأمير محمد بيك ومن تبعه من الأغاوات والعربان ، فأراهم الهزيمة — وذلك مكر وخديعة — فطردوهم إلى قريب المقياس [3] ، فلما رأى الأمير إيواز بيك انهزام الأمير محمد بيك ومن تبعه ، أخذته[4] حرارة الحرب والنزول إلى حومة الميدان ، فنزل هو ومن معه من المماليك إلى مساعدة هؤلاء الأبطال ، ولم يعلم أن المنية قد أذنت للرحيل ، ولم يبق من عمره إلاّ القليل ، فانساق إليه طوعاً ، ولم يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، فلما جاوز كميناً من الكمون ، خرجوا عليه من روضة المقياس ، وأحاطوا به من كل جانب ، وحملوا عليه حملة واحدة ، ولم يكن//
٤٤ معه سوى القليل .

---

(١) زرخين : مثنى زرخ . لفظ تركى بمعنى الدرع أو الزردية (قاموس رفيق عثمانى) . والزردية قميص من الزرد يلبسه المحارب اثناء القتال .

(٢) بالأصل : كمن .

(٣) اى مقياس الروضة .

(٤) بالأصل : اخذه .

وأما الأمراء المذكورون ، فإنهم مشغولون بالحرب ، فقاتل فيهم قتال الجبابرة ، وقطع منهم الرءوس ، وزهق منهم النفوس ، فضربه بعضهم ببندقية وبعضهم بخشت فولاذ ، فوقع من على جواده مغشياً عليه ، فهجم عليه رجل لا نعرف اسمه[1] وضربه بالسيف فأطاح رأسه ، وزهق روحه وأنفاسه ، وقطع إصبعه بالخاتم وكر هارباً ، وقتلوا جميع من معه من المماليك والخدم ، وكانوا نحو الخمسين[2] . ولقد أحسن من قال :

إذا ما حمام المرء كان ببلدة

دعته إليها حاجة فيطير

وقال بعضهم :

مشينا في خطى[3] كتبت علينا

ومن كتبت عليه خطى مشاها

وأرزاق لنا متفرقات

فمن لم يأته منا أتاها

ومن كانت منيته بأرض

فليس يموت في أرض سواها

وهذا من العجب العجاب ، أن الأسد تصيده الكلاب ، ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا ، وكل ذلك كان في الكتاب مسطورا .

ثم إنهم أخذوا // الرأس وتوجهوا بها إلى الأمير أيوب بيك ، فلما رآها ٤٥
وعاينها فلم يلتفت إليها وأعرض عنها ، فقالوا له : هذه رأس الأمير إيواز

---

(١) فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١٣٩) ، أن الذى ضرب ايواز بك ، هو عمر بن عبدالقادر الذى جاء من الصعيد مع محمد بك .

(٢) فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١٤٠) ، أن عدد القتلى فى هذه المعركة (خلاف مماليك ايواز بك) تجاوز السبعمائة رجل . وفى الجبرتى (جـ ١ ص ٤٣) ، أنه قتل من الجند خاصة زيادة عن الأربعمائة نفر من الفريقين خلاف العربان وهوارة وغيرهم . ونشير هنا الى أن كلا من صاحب « تاريخ وقائع مصر » والجبرتى ، لم يصفا هذه المعركة كما وصفها الشاذلى ، لا من حيث التكتيك الحربى ، ولا من حيث عنف القتال .

(٣) بالأصل : خطا .

بيك فلم يُصدق هذا المقال ، لأنه كان بطلاً من الأبطال ، فلما تحقق ذلك أزعجه وهاله ، وأيقن بالهلاك لا محالة ، وصار من الهم والغم في حالة العدم ، وتندم حيث لا ينفعه الندم[١]؛ وقيل إنه أمر بغسلها من التراب والدم، ووبخ من قتله وذمه غاية الذم ، ثم إنه طيبها ولفها في منديل ، وأرسلها إلى الباشا خليل ، فأعلموه بما جرى وما كان ، فقال كل من عليها فان ، وفرح بذلك غاية الفرح ، وزال عنه الهموم والترح ، وقال هذا هو المراد ، وفي غد نحل عنه البلاد[٢] .

وقيل إن هذا الأسد ، إلتزم بمائة وثمانين بلد ، ولما نظر الوزير إليها ، بادر بالبصاق عليها ، وقذفها بالسب والشم ، ولم يعلم أنه أتاه الغم ، ثم إنه//
أمر بإرسالها إلى باب الينشرية ، فلما رأوها صاروا في دهشة وبلية ، فبعضهم ٤٦
سر غاية السرور ، وقال : قد ظفرنا وزالت الشرور ، وتيقن أنه منصور بلا ريب ، ولم يعلم ما جنى له في الغيب ؛ وبعضهم تأسف وبكى[٣] ، وتضرع إلى الله وشكا ؛ ثم إن الوزير أمر بإقامتها على خشت في وسط الديوان ، وكذلك من تبعها من رءوس الغلمان ؛ وكان ذلك اليوم آخر أيامه ، وحكم عليه الدهر بصروفه وأحكامه ، وخلت منه الديار المصرية ، وهيهات أن يأتي مثله في الدولة العثمانية ، ولله در من قال :

حلف الزمان ليأتين بمثله   حنثت يمينك يازمان فكفر

---

(١) فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١٣٩) ، أنه لما جاء عمر بن عبد القادر برأس ايواز بك الى محمدبك وأيوب بك ، بكى أيوب بك وقال : « والله لم عادت لنا عيشة بمصر بعدك يا مصلح رحمة الله عليك . فقال له محمد بك : هؤلاء صاروا غنم بلا راع دا الوقت يطلبوا الصلح » . وفى الجبرتى (جـ ١ ص ٤٣) ، أن أيوب بك بكى وقال : « حرم علينا عيش مصر . فقال له محمد بيك : هذا رأس قليدهم وراحت عليهم . فقال له أيوب بيك : انت ربيت فين ؟ أما تعلم أن ايواظ بيك وراءه رجال وأولاد ومال ، وهذه الدعوى ليس للقاسمية فيها جناية ، والآن جرى الدم فيطلبون ثأرهم ويصرفون مالا ،ولا يكون الا ما يريده الله » . وقد تحققت مخاوف أيوب بك ، فقد قام القاسميون اتباع ايواز بك يثأرون لمقتل زعيمهم وسيدهم — كما سيأتى — وبذلك أضيف سبب آخر لاستمرار القتال واشتداده .

(٢) اى يستخلص منه البلاد التى كان يلتزم بهاايواز بك .

(٣) بالأصل : بكا .

فلله دره من أمير ، شابه في دولته السلطان والوزير ، كتب الله بين عينيه السعادة والنصر ، وطلعة وجهه تزيل عمن رآها الحصر ، جعل الله رأيه سديداً ، وعزمه في كل نائبة شديداً . والدليل على شدة عزمه ، وكثرة جنوده وقومه // أن ابن وافي[1] زاد في جوره وغدره ، وسلط عربانه على البلاد، ٤٧
وأفسدوا غاية الفساد ، فأرسلوا له التجاريد ، فأتعبهم التعب الشديد ، ولم يقدر أحد [أن] يصل إليه ، ولم يجسر بالقدوم عليه ، لكثرة قومه وعربانه ، وشجاعته وقوته وطغيانه ، فرجعوا عنه وأخلوا سبيله ، وقالوا ليس لنا معه حيلة ، فبرز إليه هذا الأمير ، فلم يبق منهم صغير ولا كبير ، وأراح الله البلاد منهم ، ورجع راحلاً عنهم ؛ وتولى على بندر جدة ، وأظهر فيها الشجاعة والشدة ، وأقام فيها خمسة من السنين ، وأخلى منها جميع المفسدين .

ولنرجع إلى ما نحن بصدده ، من قتال عبيده وجنده ، فإنهم ما داموا يقاتلون ، وبقتل هذا الأمير لا يدرون ؛ فلما تولى النهار ، قصدوا الرجوع إلى الديار ، وهم في غاية الفرح والسرور ، ولم يعلموا عاقبة الأمور ، فتوجهوا نحو مكانه ،جميع أحبابه وإخوانه ، فلم يجدوا له أثر// ، ولا وقفوا ٤٨
له على خبر ، فبعضهم يقول إنه توجه إلى البيت ، وبعضهم يقول نزل في هذا الغيط ؛ وبعضهم يقول نزل خلف العربان ، ولا نعلم به فى أى مكان؛ وبعضهم يقول انحدر بجواده وعدى ، ومن إقليم الجيزة ما تعدى ؛ وخبطت الناس في الكلام ، ولم يعلموا أنه ذاق الحمام ؛ فتوجه الأمير يوسف كاشف الجزار ، إلى بيوت الأمراء فلم يقع له على أخبار ، فخرج هائماً على وجهه ، وصحبه جميع عبيده وجنده ، يدورون عليه في البر ، فلم يقعوا له على خبر ، فصاروا في أمره متحيرين ، وفي حاله متعجبين ، فخرج عليهم رجل من الغيطان ، وقال : قتلوا الأمير في هذا المكان ، فدهشت عقولهم،

---

(١) كان عبد الله بن وافى شيخ عربان المغاربة فى الصعيد يفسد هو وعربانه ويظلم الفلاحين ، فأرسل المسئولون فى القاهرة تجريدة عسكرية بقيادة بعض الأمراء فى سنة ١١٠١ هـ (١٦٨٩ م) لمحاربتهم فانتصر ابن وافى عليهم . وفى سنة ١١١٠ هـ (١٦٩٨ م) أرسل الوالى العثمانى ، ايواز بك على رأس تجريدة لمحاربة ابن وافى وعربانه بسبب افسادهم أيضا ، فانتصر عليه ايواز بك وفر الى الوجه البحرى . (الجبرتى ، جـ ١ ص ٢٤ ، ص ٩٤ — ٩٨ ترجمة ايواز بك) .

وتحيرت نفوسهم ، فبادروا يقلبون القتلى ، وهم يقولون لا حول ولا ، فوجدوه مقتولاً كما قال ، ودمه سائل فوق الرمال ، ووجدوا رأسه قد قطعت ، وجميع ثيابه قد أخذت ، فاشتاع الخبر أنهم وجدوه مقتولاً ،
٤٩ فقالوا هذا // الكلام ليس مقبولاً ، وصار الناس بين مكذب ومصدق ، ومحقق منهم وغير محقق ، فلما تحقق الحال ، صار الناس في اشتغال ، وألقى الله على مصر الهم والنكد ، وصار كل أحد كأنه فقد المال والولد ، فحملوه وأتوا به إلى دياره ، وصرخت جميع نسائه وجواره ، وبكى عليه سائر الرجال حتى النساء والأطفال .

ولما أصبح الله الصباح ، وأضاء بنوره ولاح ، أرسلوا يطلبون الرأس من أيوب ، وهم في غاية الهموم والكروب ، فأرسل يطلبها من الوزير وقال له : إرسل لنا رأس الأمير ، فبادر الوزير إلى سلخ الجلدة ، وصبرها وطيبها وشالها عنده ، لأجل إرسالها إلى السلطان ، وإخباره بجميع ما جرى وكان ، وأرسل القرعة إليهم ، وكان يوماً مشئوماً عليهم ، فشرعوا في غسله وتجهيزه ، وتكفينه وتنجيزه ، وقبره بالأزبكية عند سيده أبي الشوارب[1] فالله يرحمه ما طلعت[2] الكواكب ، ولقد رثاه بعضهم بقوله : //

٥٠ بمصر عزيز قد مات قهراً وعنوة　　وقتلته زادت بها كل حسرة
أمير اللوا سلطان أهل زمانه　　ويحكم بالشرع القويم وسنة
وفيه من المولى أتتنا بشارة　　لتاريخه إيواز أدخل جنتي

فلما رجعوا من الجنازة اجتمعوا ، وقالوا لبعضهم تنبهوا واسمعوا ، إن مولانا قد فارق الدنيا وانتقل إلى الأخرى ، وكل أحد لابد له من ذلك اليوم ، وما يكون رأيكم في أمر هؤلاء القوم ، فإنهم تعدوا علينا ، وبالقتل وصلوا إلينا ، وجاروا على النساء والرجال ، بحرق البيوت ونهبهم الأموال ، ولا بد من أخذ ثأر سيدنا ، ولو نموت جميعاً لآخرنا ، فقالوا جميع الأمراء

(١) هو رضوان بك ابى الشوارب . (الجبرتى ، ج ١ ص ٩٤ — ٩٨ . ترجمة ايواظ بك) .
(٢) بالأصل : طلع .

نحن معكم ، ولا نتخلف ساعة عنكم ، فاختاروا أن يكون الأمير يوسف أمير اللوا ، وأمير حاج مكان سيده متصرفاً في كل ما حوى ، وسلموا له الأمور في جميع الكلام ، لأنه بطل شجاع همام .

فمكث الأمراء إلى يوم الأحد ، وخرجوا ولم يتخلف منهم أحد ،
٥١ فملأوا الصحارى والرمال ، طالبين الحرب والقتال ، وكذلك // الأمير محمد بيك أمير الصعيد ، خرج بجميع الأحرار والعبيد ، وصحب معه المدافع والبندقيات ، والمزاريق والأخشات ، فلما عاين بعضهم بعضاً ، ركضت الخيل في الميدان ركضاً ، فنزل الفريقان ، في حومة الميدان ، ودكست الرجال بالأسياف ، ضرباً على الأعناق والأكتاف ، وضربت المدافع والبندقيات ، والزربطانات والجمقمقيات [1]، فأظلمت الأرض من الدخان ، واشتد الحر من الشمس والنيران ، وصاروا لايعرفون بعضهم بعضا ، ويموجون بخيلهم طولاً وعرضا .

ثم إن الأمير محمد بيك [أمير الصعيد] زعق على الرجال والعربان ، وحرضهم على النزول في حومة الميدان ، فدكسوا على جماعة العزب ، فقتل من قتل وهرب من هرب ، وكانت الكسرة عليهم ؛ وفي رجوعهم جردوا القتلى وأخذوا ما لديهم .

٥٢ ثم إن الأمير أيوب بيك أرسل إلى شيخ العرب حبيب[2] // مكاتبة مضمونها : تأتي إلينا بعربانك سريعاً ، وتكون لقولنا سامعاً مطيعاً ، لأجل

---

(١) الجمقمقيات : جمع ، جمق . وهو لفظ فارسى معناه : دبوس له رأس ضخم مذهب ، كان فى عصر السلاطين المماليك يحمله رجل جميل الصورة ، طويل القامة ، قوى البنية فى موكب السلطان أو فى مجلسه ، وعيناه دائما الى عينى السلطان ، ولا يفارقه حتى ينفض الموكب أو المجلس (صبح الأعشى ، جـ ص) وقد استعمل الدبوس فيما بعد أداة للقتال .

(٢) يتفق « تاريخ وقائع مصر » (ص ١٢٧ ، ١٢٨) مع مخطوطنا فى أن أيوب بك استدعى حبيبا (الدجوى) بعد مقتل ايواز بك . اما الجبرتى (جـ ١ ص ٤٢) فانه يذكر أن أيوب بك استدعى حبيبا قبل مقتل ايواز بك . ولم يترجم الجبرتى حبيبا ترجمة خاصة ، وانما ذكره فى ترجمته لابنه سويلم بن حبيب المتوفى سنة ١١٨٣ هـ (١٧٦٩ م) ، فقال : ان حبيبا ، هو حبيب بن أحمد ، وكان كبير قبيلة نصف سعد ، ومن اكابر =

قتال العسكر والأجناد ، الذين ظلمونا وسائر العباد ، فأنت تجيءُ من خلف ونحن من أمام ، ونهجم عليهم فلا تقصر والسلام .

فلما وصل إليه الكتاب ، وفهم مضمون الخطاب ، أمر يجمع الرجال والعربان ، فاجتمعوا في أسرع مدة وزمان ، وخرجوا ينهبون المال والغلال ، وهم قاصدون الحرب والقتال ، إلى أن وصلوا إلى شبرا ، فالله يلحقهَم بداره الأخرى .

فشاع الخبر بقدومهم ، وكثْرة رجالهم وخيولهم ، فتحيرت جماعة العزب أشد الحيرة ، وأرسلوا مكتوباً إلى عرب السلالمة والبحيرة ، مضمونه : «إلينا وبالحضور لاتمهلوا علينا » .

فلما وصل إليهم الكتاب بادر الشيوخ والشباب ، وخرجوا للقتال
٥٣ والحرب // وقصدهم النهب والسلب ،وصاروا يقطعون البرارى والقفار ،حتّى وصلوا إلى الأمراء ويوسف الجزار ، فاتفقوا بعدالسلام والإكرام، والتبجيل بهم جميعاً والأنعام ، أن العرب تقاتل العرب ، والينشرية تقاتل العزب ، فتجهزت الأمراء والعربان،وخرجوا إلى حومة الميدان، وصحبتهم المدافع العظام.

وكذلك الأمير محمد بيك [أمير الصعيد] خرج بعسكره وجنوده ، وعربانه وأحراره وعبيده ، وركب المدافع على السواقي مع القصر ، لضربهم من أتاهم من البر والبحر ،فركبت العربان على العربان،ونزلوا في حومة الميدان، وكذلك العسكر على العسكر ، ومن صلى على سيدنا محمد يربح ولا يخسر .

ثم إنهم حطموا على بعضهم بعضاً بالسيوف والمزاريق ، فتضايق الفريقان
٥٤ غاية الضيق ، وصار لايعرف أحد أحدا من الغبار ، وضرب // المدافع وحر الشمس والنار ، فلا يرى إلا رءوس طائرة ، ورجال وشجعان نافرة ، فهم في هذه الحالة والشدة ، إلا وعبد الله أوضا باشا أتته جنده ، وكانوا نحو مائتين بارودية ، فتقوت جماعة العزب على الينشرية ، فتقهقروا إلى ورا ،

= عظماء مشايخ العرب بالقليوبية ومسكنهم « دجوة » . وحبيب أصله من قرية « شطب » من قرى أسيوط ، « واشتهر حبيب بالفروسية ، وعظم أمره ، وطار صيته ، وكثرت جنوده وفرسانه وخيوله ... وصار له خفارة البرين الشرقى والغربى من ابتداء بولاق الى رشيد ودمياط ، وكان هو وفرسه مقوما على انفراده بألف خيال » . (ج ١ ص ٣٤٥) .

فأعلموا الأمير أيوب بيك بما جرى ، فخرج وحض الرجال ، على النزول
للحرب والقتال ، وزعق على الفرسان ، ونزل في حومة الميدان ، فتبعه الأمير
محمد بيك بسائر العربان ، وكذلك الأمير رضوان أغا كومليان ، وأحمد
أغاة التفكشية ، وعمر أغاة الجركسية ، وقاتلوا قتال الجبابرة ، وقدموا
الدنيا على الآخرة ، وضربوا المدافع فأدوت الأرض ، فخرجت الجلل
من أفواها بالعرض ، وحاصروا الأمير محمد بيك الصغير وجماعة من
العربان ، وأحاطوا بهم من كل جهة ومكان ، فما شعروا إلا بجماعة// من ٥٥
العزب أتتهم من اليسار ، فخلصوه منهم وسائر الأنفار ، فرجع الأمراء
سالمين ، وكذلك الأمراء الآخرون ، ووقع خلق كثير من الفريقين .

ولما أصبح الله الصباح ، وأضاء بنوره ولاح ، طلع كل منهما بالعساكر[١] وهم كالأسودة الكواسر ، فزعق الجزار على الرجال ، وقال : الحرب يا أبطال ، وكذلك الأمير أيوب والأمير محمد بيك أمير الصعيد ، زعقا على الأحرار والعبيد ، فتلاقت الشجعان والفرسان ، ونزلوا في حومة الميدان ، وضربوا المدافع والبندقيات ، والزربطانات والجمقميات ، فدكست العزب على الينشرية ، وطردوهم عن العينية ، وأيضاً عن سواقي القلعة ، فخرجوا عنها دفعة دفعه ، وأخذوا منهم المدافع ، وطلعوا فوق تلك المواضع .

فلما رأى الأمير أيوب بيك هذا الحال ، دخل في غيط يريح نفسه من
القتال ، وصحبته من الغلمان نحو الخمسين ، ولم يعلموا أنهم من الهالكين//
فأخبر العزب أنهم في الغيط المجاور للقصر ، فركبوا عليهم وحاصروهم ٥٦
غاية الحصر ، فما ساعه إلا الهروب من الغيط ، وركب جواده وقصد
البيت . وأما غلمانه فلم يمكنهم الهروب ، وصاروا في أشد المتاعب والكروب ،
ونزل بعضهم في الساقية ، وقالوا لعل أن تكون واقية ، فهجموا عليهم

---

(١) فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١٤٣ ، ١٤٤) ، أن الموقعة كانت عند القصر العينى . وأن محمد بك « ركب بطائفة من هوارة من قدم (أثر النبى) وجرَ قداموا (أمامه) مدفعين بأربعة خيل الى قصر العينى وقدام المدافع امرأة صعيدية وبيدها جريدة خضرة تقوّل عليهم (تحمسهم) » . ثم ضرب أحد الخصوم المرأة بالسيف « لم علّم فيها ، واذا بقواس بيده نبوت شوم من غير جلبة ضربها فى جدر رقبتها مطّها وقعت ميتة واخذوا من على صدرها حجاب » .

جماعة العزب ، وأتعبوهم غاية التعب ، وقتلوا من نزل في الساقية ، وبعضهم توارى في الحواصل ، فقطعوا رؤوسهم وخلت منهم المنازل ، ووجدوا أربعة من المماليك الصغار ، فأخذوهم ورجعوا قاصدين الديار .

وكان مع الأمير محمد بيك [أمير الصعيد] امرأة فاجرة ، أتت من الصعيد وقيل [إنها] ساحرة ، فبادر إليها رجل من الشجعان ، وقطع رأسها في حومة الميدان[1] .

فلما رآهم الأمير قيطاس بيك — لما رأى الأولاد الصغار — شكرهم على قتلهم ، وقال لهم : من سيدكم ؟ فقالوا : الأمير أيوب بيك . فكساهم//
٥٧ الجوخ النفيس والشاشات[2] والقفاطين التي تليق بهم ، وأعطى لكل واحد دينارين وركبهم الخيول وأرسلهم إليه ؛ وكان الأمير أيوب بيك سبق له مثل ذلك ، فإنه صنع بغلمان الأمير قيطاس بيك كذلك ، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان ، وكما تدين تدان .

وأما الأمير يوسف بيك والأمير محمد بيك [الصغير] والأمير عثمان بيك توجهوا إلى بيوتهم ، ومعهم الرءوس المذكورة على أخشات وجريد إلى أن وصلوا إلى بيوت الأمراء وكان يوماً مشتهراً ؛ وقيل إنه وقع من الفريقين أكثر من مائتين ، وصار القتلى على بعضهم بعض ، وقد رممت منهم الأرض .

ثم إن الأمراء باتوا تلك الليلة ، يدبرون ويقولون كيف الحيلة ، وكيف الوصول إلى أخذ ثأر سيدنا ، فلا نرجع حتى نموت عن آخرنا ، فتعاهدوا على هذه المكائد ، وكانوا على قلب رجل واحد ، حتى الأمير قيطاس بيك
٥٨ شم من خاصة أتباعه أنه ملاحياً[3] عليه ، وكان أميراً عظيماً ذا أموال//كثيرة وخيول وخدم ، فأمر بإحضاره وقطع رأسه وأمر بنهب داره ، وأخذ جميع عبيده وجواره ؛ ولقد أحسن من قال :

تحذر من صديقك كل يوم — وبالأسرار لا تركن إليـــه
سلمت من العدو فما دهاني — سوى من كان معتمدى عليه

(١) انظر الحاشية السابقة .
(٢) الشاشات : جمع « الشاش » . والشاش طاقية صغيرة غالبها من الصوف وعليها عمامة صغيرة . (الخطط التوفيقية ، ج ١٢ ص ٢٦) .
(٣) بالأصل : ملاخيا . والملاحاة المنازعة ، والمقصود هنا المخالفة .

فلما عاين النمامون ذلك [علموا] أن من تلاحى[1] كان هالك .

وأما الأمير أيوب بيك ، اجتمع عليه الأمير محمد بيك [أمير الصعيد] وقال له : [لقد] طال المطال ، ونحن على هذا الحال ، وقتل منا ومنهم خلق كثير ، وهذا من شؤم الرأى والتدبير ، فاتفقا على إرسال مكاتبة إلى أمراء العزب ، مضمونها : نرفع الخصام والغضب ، بنفى الثمانية وقتل الأمير[2] ، وإبقاء أحمد أوضا باشا وعزل الوزير . فلما وصل إليه ذلك الكلام[3] ، تيقن بعدم رفع هذا الخصام ، فلما أصبح بادر إلى الحرب والقتال ، بجميع العربان والأبطال ، وأرسل إلى حبيب وبقية العربان ، إنكم
تكمنون في الجنائن// والغيطان ، إلى أن تخرج علينا العساكر ، فتخرجون ٥٩
عليهم خرجة الكواسر ، وأنتم من وراء ونحن من أمام ، ولا تقصروا في ذلك والسلام .

فلما وصل إليهم الكتاب ، خرج من شبرا وصحبته الشباب ، فجاء الخبر إلى الأمير يوسف الجزار ، أن حبيبا[4] أتي إلينا وسار ، فأمر بقفل أبواب مصر ، باب الفتوح وباب النصر ، فبعد ساعة أقبلت العربان ، وأحاطوا بمصر من كل مكان ، فتحيرت الناس من ذلك ، وتيقن كل شخص إنه هالك ، فخرج الجزار والأمراء من أمام ، وجماعة من وراء ، وجماعة نحو العساكر تقف تجاههم وتحاصر ، وصحب معه المدافع وآلات الحرب ، وقصد نحو حبيب وبقية العرب ، فضربوا عليهم طلقاً من المدافع والبندقيات ، فلما رأوا ذلك لم يقدروا على ثبات ، وشتتوهم من تلك الأماكن
والجهات ، وقتلوا من عربانه كثير ، وصاروا غذاء للوحوش// والطير ، ٦٠
فرجع إلى بلاده وولى[5] ، وخاف من الجزار لأنه على بلاده تولى[6] .

---

(١) بالأصل : تلاخى .
(٢) المقصود به الأمير حسن حاكم اخميم (انظر ما سبق) .
(٣) يبدو أن هنا سقطا حدث سهوا من المؤلف ، والسقط هو رد العزب على أيوب بك برفض اقتراحه ، فلما وصله الرفض استأنف القتال . ولم يذكر « تاريخ وقائع مصر » ولا الجبرتى هذا الخبر .
(٤) فى الأصل : حبيب .
(٥) بالأصل : وولاً .
(٦) بالأصل : تولاً .

ثم إن الينشرية دكسوا على العزب وأخذوا قصر العيني وتعالوا عليهم وصاروا يرمونهم بالنار ، والرصاص والأحجار ، فتقهقرت العزب إلى وراء ، فلما رآهم الأمير يوسف الجزار ، قال لهم : ما سبب انهزامكم ؟ فقالوا : تعالوا علينا فوق القصر ، وحاصرونا أشد الحصر . فقال : ما يكون إلا خير ، ويزول عنا وعنكم الضير ، فبادروا إلى الركوب ، وقست منهم القلوب ، وساروا جهة القصر ، وكان وقتهم قبيل العصر . فلما رأوهم الينشرية من بعيد ، ضربوا المدافع بالجلل والجديد[1] ، فدكست العزب على القصر وأطلقوا النار في أخشابه ، فهاجت النار في السقف ، فولوا هاربين منه ، وجلس العزب أمام القصر ينظرون إلى النار ولهيبها ، ثم إنهم رجعوا إلى بيوتهم ، ولم يقع في ذلك النهار من الرءوس أحد[2] ، ولم يقع إلا الأنفار والخدم . //

٦١ ثم إنهم باتوا تلك الليلة ، وكل من الفريقين متحير ما يصنع ، فإن السيوف كلّت ، والرجال قلّت ، والأموال نفدت ، والخيول تعبت ، واتفقوا[3] على حرق الجنينة التي أنشأها أحمد أوضا باشا في طريق بولاق وهدمها وأخذ ما فيها . وتلك الجنينة ذات أشجار وأزهار ، وغرف وقصور ، وحوت جميع الطيور ، وجعل فيها واسعاً لأجل الدجاج ، والخراف والنعاج ، وفيها الحواصل مملوءة من القمح والفول ، والشعير والتبن والأرز وسائر البقول . ولما أصبح الله الصباح ، وأضاء بنوره ولاح ، توجهوا إليها وأرموا النار عليها ، ونهبوا جميع ما ذكر .

فلما وصل الخبر إلى أحمد أوضا باشا تنكد غاية النكد ، ولكنه أظهر الصبر والجلد ، وكذلك بقية أمراء الينشرية ، أصبحوا في حيرة وبلية ، واتفقوا على حرق بيوتهم[4] الكائنة في مصر القديمة المعدة للنزه والسرور ،

---

(١) لعل المؤلف يعني « الفلوس الجدد » التي ذكرها الجبرتي (ج ١ ص ٤٤) حيث يقول ان العزب أعدوا « مدفعين ملآنين بالرش والفلوس الجدد » والفلوس الجدد عملة من النحاس ، استعملها العزب ذخيرة للمدافع.

(٢) يقصد المؤلف أنه لم يقتل أحد من الأمراء أو غيرهم من القواد .

(٣) المقصود بهم خصوم افرنج أحمد .

(٤) اى بيوت خصومهم .

ودفع الهموم والشرور ، وتلك البيوت على شاطئ // النيل السعيد تجاه الروضة ٦٢
والمقياس ، وفيها الأشجار المثمرة بأنواع الفواكه ، فبادروا إلى بيت الأمير حسن كتخدا فنهبوا جميع ما فيه ، وهدموا بنيانه ، وحطموا أركانه ، وحطموا أركانه ، وحرقوا الأخشاب ، وأخذوا الشبابيك والأبواب ، وقالوا واحدة بواحدة جزاء ؛ ثم توجهوا إلى بيت محمد أفندى جاويشان ، فنهبوا جميع ما فيه في أسرع زمان ، وكل ذلك بالقضاء والقدر ، وسبب وقوعه التجبر والتكبر والبطر ؛ ولله در من قال :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه(١) إلى طبقات الجو وهو وضيع

هذا ما كان من أمر هؤلاء .

وأما ما كان من أمراء العزب ، فإنهم ضاقت نفوسهم ، وتعبت قلوبهم ، وقالوا هذا الأمر قد فزّع الناس(٢) ، وصار جميع الناس في وسواس ، ونخاف من تطرقه من حارة إلى حارة ، فتصير الخلائق في دهشة وغارة ،
ويتولد من هذا ضرر كبير ، ويتأذى // منه الغني والفقير ، فكفوا عن هذه(٣) ٦٣
الفعال ، وبادروا للحرب والقتال ، [وقالوا] فلا نبرح ، حتى نفرح أو نترح ؛ فاتفقوا جميعاً على ذلك ، وخرجوا من جميع المسالك ، وصاروا كالجراد المنتشر حتى ملأوا البرارى والقفار ، ومعهم الأسلحة وآلات النار ، فلما رآهم الأمير محمد بيك نادى على الرجال ، وقال لايبرز أحد منكم للحرب والقتال ، فإني أخاف في هذا اليوم ، على هلاك الرجال والقوم ، لكن قفوا مكانكم ولا تظهروا الهزيمة ، لعل أن تكون العاقبة سليمة ؛ فلم يبرز أحد منهم للضرب ، ولم يقع في هذا اليوم حرب ، فانقضى نصف النهار ، وثار عليهم الغبار ، واشتد الحرب وهاج ، وصاروا كبحر متلاطم

(١) بالأصل : يعلوا .
(٢) يسجل المؤلف هنا ضيق القاهريين بهذه الحرب فأخذوا يتذمرون ، الأمر الذى أقلق المتنازعين ، فقرر خصوم افرنج احمد على الاجتهاد فى القضاء عليه فى أسرع وقت قبل أن يثور القاهريون عليهم .
(٣) بالأصل : هذا .

الأمواج ، فاتفق رأيهم[1] أن يتوجهوا إلى بيت الأمير أيوب بيك ويهجموا عليه ، بضرب المدافع والبندقيات ، ويخلوا السكك والطرقات .

وكان الأمير أيوب بيك قد حصن بيته بالعساكر والجنود من كل جهة ،
٦٤ وركّب على أسواره المدافع ، وعلى الباب//من جهة الشارع ، ومن جهة زين العابدين وجميع الأماكن[2]المجاورين، ومن جهة بيت الأمير إبراهيم بيك أبو شنب ، وكل ذلك خوفاً من هجمة العزب ، ومن قلعة الكبش وجامع ابن طولون ، وأمر المغاربة القاطنين ، أن يكونوا لبيته محافظين ، وصار العساكر من قناطر السباع إلى الصليبة ، فأضحت الرعية منهم في مصيبة ، وبجواره بيت عمر أغا جراكسة ، ملأه رجالاً بالدروع لابسة ، وكذلك بيت محمد بيك أمير الصعيد ، وضع فيه كل بطل وصنديد ، وبيت أحمد أغا تفكجيان ، فيه الرجال والغلمان ، وبيت سليمان أغا كتخدا الجاويشية ، وبيت رضوان أغاة الجملية ، وبيت الأمير إسماعيل بيك كذلك ، وضاقت الطرق والسكاك ، وكل هذه المواضع ركبوا فيها المدافع ، وكذلك الكيمان والجنائن المحيطة بتلك الأماكن .

وبيت الأمير أيوب ، قد خلت منه العيوب ، قد حوى كل المحاسن//
٦٥ وفاق على كل الأماكن ، بالجنينة الحاوية لسائر الأشجار ، وكل الفواكه والمشموم والأزهار ، وخلفها بركة من ماء النيل ، على حافاتها الأشجار والنخيل ، وفي وسطها قصر متين ، يشرح القلب الحزين ، يسمع منه أصوات الطيور ، من بلبل وشحرور ، وقمرى وكيروان ، يسبح الرحيم الرحمن ، لهم هدير وغدير ، والرياح لها صفير ، قد حوى كل الفنون ، وهو نزهة للعيون ، والأمير أيوب بيك من العز في غاية ، والترفه والتنزه في نهاية ، شاع ذكره في جميع البلدان ، وهابه جميع العربان ، وتولى على الحاج من السنين عشرا ، وكانت توليته على الناس خضرا ، وانتهت له الرياسة في مصر ، وله السيادة في البر والبحر ، شابه السلطان في الكلمة المسموعة ، والرتبة المرفوعة ،

---

(١) المقصود بهم خصوم افرنج احمد وأيوب بك .

(٢) بالأصل : الأماكين .

لكنه سعى في ذلك بالنقض ، ولله ميراث السموات والأرض ، يورثها من يشاء من عباده ، لا دافع لقضائه ومراده ، ولقد // أحسن من قال : ٦٦

إن أقبل[١] السعد قم قائماً … واقبس من السعد إن شئت نارا

وإذا[٢] رقد السعد فارقد له … فما جرى في العكس إلا خسارا

وقال آخر :

إذا تم شيء بدأ نقصه … ترقب زوالا إذا قيل تم

ثم إن العساكر لما هاج عليهم الحر ، أيقنوا بالهلاك من القهر ، وقالوا لا نرجع عن أخذ هذا البيت ، ولو صار منا كل حي ميت ؛ فأرسلوا طائفة ينظرون الطريق ، وهل يمكنهم الوصول والتطبيق ، فسار الرجال والشجعان ، وليس الخبر كالعيان ، وولى الجيش ورجع ، فأخبروا الأمراء بما وقع ، فتوجهت الأمراء إلى بيوتهم متحيرين ، وعلى عدم أخذ البيت منكدين ، فتعبت الأبدان ، وقتلت الغلمان ، وزهقت نفوسهم ، وتفرقت جموعهم ، واشتد الكرب ، وطال الحرب ؛ ولقد شبهت وصولهم إلى أخذ هذا //البيت ٦٧
بقول القائل :

كيف الوصول إلى سعاد ودونها … قلل الجبال ودونهن حتوف

والرِّجْلُ حافية ولالى مركب … واليد صفرا والطريق مخوف

وقد أيست الناس من الخلاص من هذه الفتنة ، والنازلة والبلية والمحنة ، وانقطع عن الناس معاليم الوظائف والجوامك[٣] والأرزاق ، وتعطلت الأسباب في الأسواق ، فالأمر لله الواحد الخلاق .

ثم إن الأمراء مكثوا ثلاثة أيام ، وهم جالسون في بيت قائم مقام[٤] ، فدبروا أنهم يرسلوا منادياً ينادى : كل من له جامكية ، من عزب وينشرية ،

---

(١) بالأصل : اقبلت .

(٢) بالأصل : واذ .

(٣) الجوامك : مفردها ، جامكية ، وهى الرواتب عامة (السلوك : جـ ١ ص ٥٢ حاشية ٢) .

(٤) فى الجبرتى (جـ ١ ص ٤٥) أن الأمراء خصوم أيوب بك وافرنج أحمد ، اجتمعوا فى اليوم الثانى من شهر جمادى الأولى سنة ١١٢٣ ، وتنازعوا بسبب تطاول الحرب وامتداد أيامها ، ثم اتفقوا على اصدار البيان المذكور فى النص .

وجراكسة وتفكشية ، ومتفرقة وجملية ، فليحضر إلى بابه[١] ، ويلازم على أعتابه ، ومن لم يحضر بعد ثلاثة أيام ، ليس له عندنا إلا الحسام . فنادى المنادى في الأزقة والأسواق ،لتسمعه أصحاب الجوامك والأرزاق ، وأيضاً كتبوا إلى الكواخى الذين عند أحمد أوضاباشا والأنفار : إن من لم ينزل إلى
٦٨ دياره ، أخذنا جميع ماله وعبيده//وجواره ، ومن نزل وأتي إلينا، يصير من المحسوبين علينا . فلما وصلت إليهم التذاكر ، وصار علمها عند كل غائب وحاضر ، فلم يقدروا على رد الجواب ، وغاب عن رأيهم الصواب .

وأما أحمد أوضا باشا فإنه قطع التذكرة ، وقال : هذا ليس لهم عليه مقدرة .

[وأما الأنفار] فبعضهم ربط نفسه في السّلَب ، ونزل من السور وهرب[٢] ، واجتمع بهم وأخذ الأمان ، وحفظ النفس والأوطان .

وأما أرباب المناصب والجوامك والأرزاق ، خافوا من النهب والسلب والإحراق ، فاجتمع عليهم خلق كثير من الينشرية وانضموا إليهم ، وقالوا : نحن وأنتم جميعاً عليهم ، فولوا كتخدا للينشرية ، وعلى أغا جاويشية ، وصار بيتهم بيت الوالى ، كل ذلك وأحمد أوضاباشا لا يبالى ، ويضرب في الليل والنهار المدافع ، على باب العزب وجميع المواضع ، وكذلك العزب يضربون من [جامع] السلطان حسن ، وكل ما ذكرت من الجهات والمساكن والوطن ؛
٦٩ فمكثوا ثلاثة أيام // بعد المنادية والناس تأتيهم وأكثرهم ينشرية .

ثم لما كان يوم الأحد المبارك ، السادس من شهر جمادى الأولى من السنة المذكورة ، رتبوا الجيوش والعساكر المشهورة ، وفرقوهم من كل الجهات ، ووصتهم الأمراء بالثبات ، فخرج عبد الله أوضا باشا بالغلمان ، والعساكر الشجعان ، وناداهم فقالوا الكل لبيك ، وأمرهم بالدخول من بيت الأمير إبراهيم بيك ، فنقبوا منه إلى بيت الأمير عمر أغا ، وقالوا إنه تجبر علينا

(١) اى الى أوجاقه . والمراد من العبارة ، أن على كل جندى مشترك فى هذه الحرب الى جانب افرنج أحمد وأيوب بك أن يترك القتال ويلتحق بأوجاقه فورا ، وذلك لاضعاف افرنج أحمد وأيوب بك .

(٢) المقصود بالهاربين ، رجال افرنج أحمد وأيوب بك ، ملبين النداء خوفا من اخراجهم من أوجاقاتهم وقطع رواتبهم .

وطغى ، فلما دخلوا نادوا جميعاً ، الله الله ، فهرب من فيه سريعاً ، ولم يثبتوا
للحرب ، والقتال والضرب ، فاشتغل سائر الرجال ، بنهب الذخائر والأموال ،
فزعق عبد الله أوضا باشا عليهم ، وخاف أن تأتي الرجال إليهم ، وقال :
ضعوا جميع المتاع ، في وسط الحوش بلا نزاع ، ولما نتمكن خذوه جميعاً .

ثم إنهم نقبوا ذلك البيت ، فوصلوا إلى الربع المجاور لبيت الأمير أيوب
بيك ، ونقبوا بيوته//سريعاً ، فلما وصلوا إلى القصر المطل على الباب طردوا ٧٠
من فيه وهربوا إلى المقعد ، فتعالوا عليهم بطلوعهم على الأسوار وضربوا
البندقيات عليهم ، وقتل منهم خلق كثير .

فلما رأى عسكر الأمير أيوب بيك أنهم ظفروا بادروا إلى الهروب ، فزعق عليهم الأمير أيوب ، وجرد سيفه على الرجال ، وحرضهم على القتال ، فلم يقدر على رجوع واحد ، وصار في أشد الشدائد ، ولم يبق عنده سوى الغلمان ، وهربت منه جميع الشجعان ، فزاد عليهم العزب بالضرب ، وشدوا نفوسهم للحرب ، فبرزوا غلمانه إليهم ، وضربوا النار عليهم ، فمنعوهم عن الوصول إلى المقعد والحريم .

فلما رأى أيوب بيك زيادة الحال ، عرف أنه هالك لا محال ، فأمر
بعض غلمانه بأخذ ما يحتاج إليه وكل شيء قدروا عليه ، ونودى الخروج
منه ، والتوجه والذهاب عنه ، فشد الرجال الرحال[١] ، وحملوا ما قدروا
من الأمتعة // والمال وبرزوا إلى الخلا ، وهو يقول لا حول ولا ، وأخرجوا ٧١
من الحيل قليلاً ، وصار هذا العزيز ذليلاً ، وقد تحير في أمره ، وحار في
فكره ، وعزم أن لا يبرح من مكانه ، ولا يفارق جميع أهله وأوطانه ،
وعبيده وأجناده ، ونسائه وأولاده ، وقال : دعوهم يقتلوني ومن الدنيا
يريحوني ، فأخرجه الغلمان غصباً من البيت ، وطلعوا به وراء الغيط ،
فوقف على الكوم ينظر إلى بيته ويتحسر ، وبالوصول إليه لم يجسر ، وزادت
به الهموم والغبون[٢] ، فسبحان من يقول للشيء كن فيكون ؛ طالما تمت له

(١) بالأصل : والرحال .
(٢) الغبن : ضعف الرأى .

النعمة بأوصافها ، وطابت له السعادة بإسعافها ، فغرت به الأيام والليالى ، ولقد أحسن وأجاد من قال :

أحسنت ظنك بالأيام إذ حسنت
ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها
وعند صفو الليالى يحدث الكدر

ثم إن الطائفة الأخرى فتحت الباب ، ودخلت الناس بلا حساب ، وأخذوا جميع الذخائر والنتائج ، والفرش والأمتعة والحوائج ، وبعد ذا //
٧٢ أضرموا النار فيه ، وكل من عمل شيئاً فهو ملاقيه ؛ وأيضاً أوقدوا النار في بيت الأمير عمر أغا ، وسر بذلك الخلى ومن بغى[1] .

وأما بقية الأمرا ، لما علموا بما جرى ، خرجوا من بيوتهم إليه ، وصاروا جميعاً لديه ، وهم : الأمير رضوان أغا كومليان ، والأمير سليمان أغا جاويشان ، والأمير محمد أغا متفرقة ، وقلوب الجميع ممزقة ، وصحبتهم قليل من الغلمان ، وتركوا الديار والأوطان ، فلما عاينوا إلى بيته قد انملك ، فقالوا لبعضهم كل من رجع إلى بيته هلك ، وأرسل كل منهم بعض غلمانه ، إلى جواره ونسوانه ، ليخرجونهن من البيوت والمجالس ، ويأخذن ما يقدرن عليه من الملابس ، فذهب الغلمان إليهن ، قبل دخول الرجال عليهن ، وأخرجوهن من تلك القصور ، إلى بيوت بعيدة عن الشرور ، وأخذن ما قدرن عليه من الملابس الغالية ، وتركن الديار بما فيها من الذخائر خالية .

وأما الأمير عمر أغا ، فإنه أرسل حريمه وبعضاً من المال إلى بيت أبيها
٧٣ الأمير إسماعيل // بيك ، قبل ذلك الحال .

وكذلك الأمير أيوب بيك أرسل جميع جواره ونسوانه قبل ذلك إلى بيوت إخوانه .

وأما الأمير محمد بيك أمير الصعيد [لما] رأى لهيب النار من بعيد ، فهيأ الرجال والمراكب ، وشد الرجال الرحال على النجائب ، وطاب لهم

---

(١) بالأصل : بغا .

الريح وحلوا القلاع ، وطلبوا الصعيد وخافوا الضياع ، وسار في البر على النجائب وبعض قومه على المراكب .

وأما الأمير أيوب بيك وجميع الأمرا ، ركبوا الخيول وساروا إلى طرا ، فنزلوا وأكلوا ما تيسر ، وكل منهم يبكي ويتحسر ، على فراق أهله وأولاده ، وبيته وغلمانه وأجناده ، وطلعوا من الجبل قاصدين الديار الرومية[١] ، يشكون أهل مصر المحمية ، وخرجوا هائمين على وجوههم[٢] ، ولم يتبعهم إلا القليل من أتباعهم وجنودهم ، ولقد أجاد من قال :

دعوى الإخاء مع الرخاء كثيرة   عند الشدائد تعرف الإخوان

وأما الأمير عمر أغا جراكسة أخذ بعض أمتعته وملابسه ولحق بباب
الينشرية ، وصار في دهوة //وبلية ، وأخبرهم بما جرى ، فطلعوا على ٧٤
الأسوار ، فنظروا إلى لهيب النار ، فأيست الينشرية من الحياة ، وصاروا يقولون : وامصيبتاه .

ثم إن أمراء العزب توجهوا مع طائفة إلى بيوت هؤلاء الأمراء ، فكسروا العساكر الذين في قلعة الكبش والحدرة ، فولوا الجميع هاربين ، وصاروا الكل مهزومين ، ودكسوا على تلك البيوت ، ودخلها كل صعلوك وهلفوت ، ونهبت الفرش والوسائد من الخزنات والمقاعد وسائر الأمتعة والملابس والصناديق المملوءة بالنفائس ، وأوقدوا النار في الأبواب والسقف وسائر

(١) الديار الرومية : أى اسلامبول عاصمة السلطنة العثمانية . والديار الرومية وبلاد الروم ، اسم أطلقه المسلمون القدامى على منطقة آسيا الصغرى التى كانت تحكمها الامبراطورية الرومية أو البيزنطية قبل أن يستولى عليها المسلمون ، ولذلك كان المسلمون يطلقون على السلطان العثمانى « سلطان الروم » ، انظر أيضا ما سبق ص ٣٥٨ حاشية ٣

(٢) فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١٦٠) أن أيوب بك بعد أن فر من بيته — وقبل أن يخرج من مصر — ، « أخذ رضوان أغا » وطلع للباشا والقاضى ، وقال له الباشا : مالك وجهك متغير ؟ فأجابه : سلامتك يا سلطانم ، ولّت علينا ، وأنتم لم يجرى (كذا) عليكم شيء خلاف نزولكم (يعني عزله) وأما نحن يقتلونا لم يبقوا منا أحد (كذا) اكتبوا لنا مكاتيب للدولة (أى للحكومة العثمانية) ونأخذ الفتوى معنا بالوصية وأننا كنا متمسكين بالحاكم والشرع الشريف قويوا علينا وأخرجونا من ديارنا ، واذا الباشا والقاضى كتبوا لهم مكاتيب على مرادهم ، أخذهم أيوب بك فى يده ».

الأخشاب ، وانفتحت الطريق إلى الصليبة ، وكان يوماً شديد الصعوبة ، وهدمت جميع المتاريس ، وزال الحرب والتعكيس ، ومشت الناس إلى الرميلة في هذا اليوم يتعجبون ويتفرجون في صنيع القوم ، وكيف قدروا على أخذ تلك المحلات ، وفتح تلك السكك والطرقات(١) ؛ ولقد أحسن من قال : //

(٢) . . . .)

٧٥ وعاين الضيق ، أيس من الحياة ، وطلب النزول والأمان(٣) ، وكذلك جميع الكواخى وأحمد أوضا باشا نادوا بالأمان ، ونصبوا الراية البيضاء الدالة على عدم المحاربة والقتال ، وفتحوا باب الجبل .

---

(١) ذكر علي مبارك باشا في الخطط التوفيقية (جـ ١ ص ٥٨) الأحياء التي خربت في القتال ، وهي أحياء : الدرب الأحمر ، والمحجر ، وثمن قوصون ، وسوق السلاح ، وخط الداوودية ، والصليبة ، والسيوفية ، والخليفة ، والعمارات التي كانت جهة قصر العيني ، وبركة الناصرية وما جاور ذلك الى مصر العتيقة ، وخط السيدة زينب .

(٢) يقع هنا النقص الثاني في المخطوط . وفي ذيل ص ٧٤ من المخطوط لفظ « ضاقت » للاشارة على أن الصفحة التي بعدها تبدأ بهذا اللفظ ، ولعل اللفظ هوبداية البيت المعروف : ضاقت فلما استحكمت حلقاتها . . . . . .

(٣) المقصود به الوالي العثماني خليل باشا ، حيث يذكر صاحب « تاريخ وقائع مصر » (ص ١٦٥) والجبرتي (جـ ١ ص ٤٦) ، أنه بعد خروج أيوب بك من مصر ، أرسل الأمراء — خصوم أيوب بك — طائفة من الجند الى جبل الجيوشي ، فركبوا مدافع على محل الباشا ومدافع على القلعة ، وأحاطوا بالقلعة من أسفل ، وضربوا ستةمدافع على الباشا فنصب خليل باشا بيرقا ابيض يطلب الأمان . ويذكر الجبرتي (نفس الجزء والصفحة) المفاوضات التي دارت بين الباشا وبين الأمراء المحاصرين له ، فقال : « فأرسل الباشا القاضي ونقيب الأشراف يأخذان له أمانا من الصناجق والعسكر فتلقوهما وأكرموهما ، وسألوهما عن قصدهما ، فقالا لهم : ان الباشا يقرئكم السلام ويقول لكم : انا كنا اغتررنا بهؤلاء الشياطين وقد فروا ، والمراد أن تعلمونا بمطلوبكم فلا نخالفكم . فقالوا لهما : أعلموه أن الصناجق والأمراء والأغوات والعسكر قد اتفقوا على عزله ، وأن قانصوه بيك قائمقام ، وأما الباشا فانه ينزل ويسكن في المدينة الى أن نعرض الأمر على الدولة ويأتينا جوابهم ، فأرسل القاضي نائبه الى الباشا يعرفه ذلك ، فأجابه بالطاعة واستأمنهم على نفسه وماله وأتباعه ، وركب من ساعته في خواصه يقدمه قائمقام وأغات مستحفظان عن يمينه وأغات المتفرقة عن شماله ، واختيارية الوجاقات من خلفه وأمامه ، ونزل من باب الميدان ، وشق من الرميلة على الصليبة ،والعامة قد اصطفت يشافهونه بالسب واللعن ، الى أن دخل بيت على أغا الخازندار » .

وأما بقية الأمراء خرجوا بجميع الأنفار إلى الرميلة كعادتهم عند نزول الوزراء ، وأرسلوا إلى الوزير : إنك تنزل من القلعة أنت ومن عندك بالسرعة والعجلة ؛ وكان عنده قاضي قضاة الإسلام ، ونقيب السادة الأشراف الكرام ؛ فلما وصل إليهم الكلام ، بادروا إلى القيام ، وقالوا بشرط إعطائنا[1] الأمان . فأخبروا الأمراء بذلك ، فقالوا جميعاً : لهم ذلك . فنزلوا من باب الجبل ، فأحاطت العساكر بهم من كل جهة ؛ فلما وصلوا إلى الرميلة ، بادرتهم بقية الأمراء وقابلوهم أحسن القبول ، وتوجهوا بالوزير إلى بيت الأمير سليمان بيك ورسموا عليه[2] ، وكذلك القاضي ونقيب
الأشراف توجها إلى بيوتهما ومعهما[3] العساكر والجنود يحفظونهما // من ٧٦
السفهاء ، فسبحان المعز المذل .

وأما الأمير على حسن كتخدا [فقد] بادر بالخروج من باب الجبل صحبة الوزير ، فعرفه بعض الأمراء ، فأخذ السيف وقطع رأسه .

وأما الأمير عثمان كتخدا ، فإنه نزل من البدرم واستجار بالعزب فأجاروه ؛ وكذلك إبراهيم أفندى ، وعمر كتخدا وغيرهم نزلوا إلى بيوتهم سالمين .

وأما بقية الكواخى وأحمد أوضا باشا سلموا وأرادوا النزول من المحجر ففتحوا الأبواب وأرسلوا إسماعيل أفندى إلى الأمير ناصف كتخدا وبقية الأنفار : إنكم ترسلوا لنا الأمان ونحن ننزل من غير مخالفة ، فلما وصل إلى الباب رأى العساكر لاتعد ولا تحصى وهم ساحبون السلاح ، فخرج إليهم ، وقبل أياديهم ، وقال لهم : إن الكواخى وأحمد أوضا باشا يطلبون الأمان ؛ فقالوا : لهم ذلك . فأرسلوا إليهم المصحف ، فطلع به إليهم ، فقالوا له : قل للأمير ناصف كتخدا وبقية الأنفار ، إنهم يضمنونا وكل أمير
يضمن أميرا ، فنزل // إليهم وأخبرهم بذلك ، فبادر إليه رجل وقال له : ٧٧

(١) بالأصل : اعطاء .
(٢) رسموا عليه : اى اعتقلوه وتحفظوا عليه .
(٣) بالأصل : ومعهم .

أنت الآن صرت رسولاً لهم ! وضربه بجقمقية[١] في بطنه فوقع على الأرض وقال : الأمان الأمان ، وذكر الشهادة مراراً ، وضربه آخر[٢] ببندقية ، وضربه آخر بسيف على أكتافه ، وآخر على أفخاذه ، وآخر وضع رجله على صدره ومسك ذقنه وقطع رأسه .

وأما الأمير عمر أغا ، فإنه كان مطلوق القياد يتوجه إلى أى بلدة أراد ، فلما صار عند الينشرية ، حبس نفسه وصار في بلية ، ولم يمكنه التوجه مع الأمير أيوب بيك ولا مع الأمير محمد بيك ، فبادر وقد غير ثيابه ، ونزل بالحبال إلى حارة الحطابة حتّى وصل إلى ميضأة النظامية ، فأرمى نفسه إلى المقابر المنسية ، فشاع الخبر أن الأمير عمر أغا هرب ، ونزل من السور بالحبال والسلب ، فخرجوا إليه كالكواسر ، فرأوه يجرى حافياً وسط المقابر ، فبادروا عليه برمى الرصاص ، فأيقن بالموت وعدم الخلاص ، وزاد به التعب // ، والشدائد والكرب ، ووقع على قبر فأين المفر ، ولسان ٧٨
الحال قال هنا المقر ، فلحقه رجل وبادره بالشتم ، وضربه ببلطة على رأسه فسال منها الدم ، وأحاطوا عليه جميع الرجال ، وصار منهم في أسوإ حال ؛ وأيضاً خرج عبد الله أوضا باشا إليه ، فوضع يده على رقبنه وقبض عليه ، ومسكت الرجال أطواقه ، وضيقوا أنفاسه وأخلاقه ، وساروا به إلى باب العزب ، فلما رأوه الأمراء عاتبوه أشد العتب ، وصار واقفاً أمامهم ذليلاً ، بعد أن كان في عزه جليلاً ، فأرسلوا الخبر إلى الأمراء وقائم مقام : إنا قبضنا عليه فما نصنع فيه ؟ فأرسل لهم بيردى على القتل ؛ فلما وصل إليهم البيردى بادروا إليه وجردوا ثيابه ، وضربه الجلاد قطع رأسه وأزهق روحه وأنفاسه ، ووضعوه في تابوت وأرسلوه إلى بيت الآمير حسن آغا رحمه الله رحمة واسعة . وكان هذا الأمير وجيهاً ، كريماً ، شجاعاً ، صاحب مال وغلال كثيرة ، وبلاد وخدم وحشم ، ومع ذلك كله لم يتيسر له الكفن ،

---

(١) جقمقية : بندقية طويلة يبلغ طولها ستة أشبار (تاريخ وقائع مصر ص ١٤٧) .

(٢) بالأصل : الآخر .

وجهزه الأمير مصطفى أغا جراكسة تابع المرحوم حسن أغا ، ولقد أحسن //
من قال[١] : ٧٩

قولوا لمن ملك الدنيا بأجمعها ما راح منها سوى بالقطن والكفن

وأما أحمد أوضا باشا وبقية الكواخى ، فلم يرجع إليهم اسماعيل أفندى ، ولم يدروا بقتله ، فقالوا : لعله توجه إلى بيته ، فنزلوا ووقفوا على الباب ، ونزل رجب كتخدا ، وأويس كتخدا ، وأوضاباشية وأنفار ، فلم يتعرض لهم أحد ، وبقى أحمد كتخدا شهرى أغلان ، وأحمد كتخدا برمقسيز ، وعمر كتخدا متولى الوقت[٢] ، وأحمد أوضا باشا ومن تبعهم لم ينزلوا وخافوا من القتل ، فقالوا لبعضهم : إلى متى [ننتظر] نتوكل على الله وننزل ، وبادروا إلى الخروج من الباب ، وقالوا : السلام عليكم ، أنتم أرسلتم لنا الأمان ، فإن أردتم القتل فاقتلونا ، وإن عفوتم عنا فخلوا سبيلنا . فقالوا لابأس عليكم ، وخرجوا فأحاطوا بهم العساكر ، فبادر ناصف كتخدا وأتباعه إلى أحمد كتخدا وأحمد أوضا باشا وأدخلهما القهوة المواجهة للباب وأجلسهما بجانبه ، وصار يعاتبهما على ما فعلا[٣] ، فبعد لحظة نزل كشك[٤] أحمد أوضا باشا تابع أحمد أوضا باشا فبادره الرجال بالسيوف
على ظهره وأكتافه // وضربه رجل بسيف وأطاح رأسه ، فلما رآهم أحمد ٨٠
أوضا باشا خاف على نفسه وانفلت[٥] من عندهم كالطير وخرج هارباً إلى الحطابة ، فقام العسكر قومة واحدة وخرجوا خلفه ، فلما جاوز الطاحون انكب على وجهه ، فأدركه الرجال والقوم وضربوه بالسيوف وقطعوا رأسه على الكوم ، ومسكه الأولاد من رجليه وجروه إلى الرميلة ، فسبحان المعز المذل الذى لايفنى ولا يزول ، مالك الملك لا إله إلا هو كل يوم هو في شأن .

---

(١) هـذان اللفظان ســاقطان من ص ٧٩ من المخطـوط ، ولكنهما مثبوتان فى ذيل ص ٧٨

(٢) متولى الوقت : هو والى القاهرة .

(٣) بالأصل : فعلوا .

(٤) فى الجبرتى (جـ ١ ص ٤٦) كجك أحمد . وكجك لفظ تركى ، معناه : القصير .

(٥) بالأصل : انفلت .

وأما الأمير أحمد كتخدا شهرى أغلان ، أخذه ناصف كتخدا ، ولم يمكنوه من التوجه إلى بيته ، وخافوا الهجوم عليه .

وأما عمر كتخدا ، وأحمد كتخدا ومن تبعهم شاغلوا الغسكر وخرجوا من النقوب إلى بيوتهم سالمين .

ثم إن الأنفار ملكوا الباب ودخلوا يقولون الله الله ، ويضجون ويصيحون ويفتشون الأماكن والأبراج ، فلم يجدوا أحداً .

وباتت القاهرة ليلة الثلاثاء في أمن وأمان ، وزال الخوف وخمدت
٨١ النيران ، ولم ينطلق في تلك الليلة مدفع ولا بندقية ، وزالت//الشدة عن الناس والبلية .

ورجع الثمانية على ما كانوا عليه وجميع من خرج إليهم ، وصارت الكلمة لهم وولوا غبد الله أوضا باشا عليهم .

ولما أصبح الله الصباح ، وأضاء بنوره ولاح ، ركب الأمراء إلى بيت قائم مقام ، فاتفقوا على ركوب الأمير يوسف الجزار والأمير محمد بيك [تابع الأمير قيطاس بيك][1] والأمير عثمان بيك ومعهم العساكر والعدد يطوفون في المدينة والبلد ، وينادون بالأمن والأمان ، في كل محلة وسكة ومكان ، فطاف الأمراء المذكورون ، والمنادى ينادى أمامهم بالأمن وفتح الدكاكين ، وعدم المعارضة للفقراء والمساكين ، وكل من حمل سلاح من عسكرى وفلاح لا يلومن إلا نفسه .

فلله درهُم من فرسان وغلمان وشجعان ، لايخافون من الحرب والقتل والضرب ، شبهتهم بالأسود[2] الكاسرة ، وهم كالملوك الأكاسرة ، طردوا العربان عن القاهرة ، وألحقوهم بالدار الآخرة ، وقاتلوهم قتال الجبابرة ، فيالهم من رجال وفرسان وأبطال ، كفاهم الله شر العين ، ونسأله
٨٢ إصلاح ذات البين ، ونسأل الله // حفظ عسكرنا علينا ، ودوامهم لدينا ،

(١) أضفنا مابين الحاصرتين للتمييز بينه وبين محمد بك أمير الصعيد .
(٢) بالأصل : بالأسود بالاسودة . (وقد حذفنااللفظ الثانى لأنه زائد) .

لأنهم أحسن موجود ، من سائر الأمراء والجنود ، والنصر لمولانا السلطان وحفظ النفس والإيمان ، وهلاك أهل الكفر والطغيان ، والظلم والبغى والفساد ، ومن أراد ضرر مصر المحروسة ، فاجعل اللهم أيامه منحوسة ، واهلكه واقطع دابره ، والحقه بسرعة ياربنا بالآخرة ، واحفظ اللهم من حمى حماها ، ومن السوء والمكروه قد وقاها ، وسائر البلاد والقرى الإسلامية بجاه المصطفى خير البرية .

ولنرجع إلى تمام ما وقع : إن الأمير على أغا لما طلع إلى القلعة ، اجتمع عليه الأمرا ، واتفقوا على طوافه لينظر ويرى ، ويقمع المفسدين(١) الذين ظهروا على الناس وبجورهم فجروا ؛ فأجاب إلى ذلك وطاف ، فهابه كل صنديد وخاف ، ولم يقدر يقف أمامه من القتل والضرب والغرامة . ثم إن الشيخ محمد بن عاشور ، طلع إليه ليسلم ويزور ، وهو شيخ طائفة القطب
الحقيقى ، سيدى // ابراهيم الدسوقي ، قدس الله سره ، ونور ضريحه وقبره ٨٣
فلما تمثل بين يديه ، أمر بالقبض عليه ، وضربه بنبوت على دماغه ، (فطار يحنى على متاعه)(٢) ، وأمر بإلقائه من السور ، فألقوه وصار العظم مكسور ، فوقع على الأرض وليس فيه روح ، وصار جلده مشطباً مجروح .

وأما الأمير أحمد كتخدا برمقسيز ، فقد مكث في بيته إلى يوم الأربعاء ، وظن أنه لم يصر له منازعاً ، فأرسل إليه جاويشاً لأجل الحضور ، فلما رآه صار خائفاً مذعور ؛(٣) فقال إن الأغا وجميع الاختيارية ، قد اجتمعوا في في باب الينشرية ، وقصدهم بأن تكون عندهم ، ليصلحوا جيشهم وجندهم ، فقال بسم الله لاخلاف ، ولكنه ارتعد منهم وخاف ، فودع أهله وعياله ، ولكنه علق بالحياة آماله ، وركب صحبة الجاويش إلى أن طلع ، ودخل على الاختيارية جميعاً واجتمع ، ودخل على الأغا وسلم عليه ، فأمر الرجال

---

(١) بالأصل : المفصدين .

(٢) هكذا بالأصل . والعبارة غامضة المعنى .

(٣) هكذا بالأصل ، وصحتها مذعورا . وقد أبقينا على اللفظ كما هو بالأصل تمشيا مع السجع .

٨٤ بالقبض عليه ، وخنقه بسرعة[١] في الحال ، من غير إبطاء // ولا [إمهال][٢] فخنقوه ووضعوه في تابوت ، فسبحان الحى الذى لايموت .

وفي ذلك اليوم طاف [على أغا] كعادته في الناس ، فلقيه الحاج أبو بكر التراس[٣] ، خادم العنبر الشريف ، فوقف بين يديه كالوصيف ، وناداه فقال لبيك ، فقال : أنت صديق محمد بيك ، وتعطى له غلال الشون ، وهو عندك في الحفظ والصون ؛ فقال : أخذه من عندنا بالغصب ، والسلب من حواصلنا والنهب ، فلم يقبل له عند ذلك عذراً ، وأمر برمى عنقه في الحال قهراً ، فضربه الجلاد أطاح رأسه ، وزهق روحه وأنفاسه .

وأما الأمير أحمد أغا كتخدا ، فإنه مكث في بيت ناصف كتخدا [يومى] الثلاثاء والأربعا ، ثم توجه إلى بيته شاكياً متوجعاً ، إلى صبيحة يوم الجمعة أرسل له [عمر أغا] الجاويش [في] عجلة وسرعة ، وقد كان أخذ بيرديا على قتله ، وتشتيت[٤] جمعه وشمله ، وباتفاق بعض الأمرا ، ولكن لم يكن مقدرا . فلما صار ذلك الجاويش عنده ، أظهر الشجاعة والناموس والشدة ،
٨٥ وقال [له الجاويش] إطلع بنا إليهم ، ولا تبطئ بنا // عليهم . فقال : دعنى أصلى ركعتين ، وأطلع وإياك من غير مين. فشرع يصلى وأتم الصلاة ، ورفع اليدين وسأل الإله ، تفريج تلك النوائب ، ورفع الشدائد والمصائب ، فببركة الدعاء أتاه الفرج ، وزال عنه الضيق والحرج ، بدخول [قرا[٥]] محمد كتخدا عزبان عليه ، فرأى الجاويش جالساً لديه ، فقال : ما الخبر وماذا تريد ؟ فقال : طلوع هذا ورأيك سديد ؛ فقال : لاسبيل إلى الطلوع ، ولو تفرقت منا الجموع ، ولم يطلع أحمد كتخدا إليهم ، ولم يجتمع أبداً عليهم ، وخاف يفعلون به كمن سبق ، وصار في شدة وحدة وعرق ، وقال اركب بنا إلى باب

(١) بالأصل : سرعة .
(٢) اللفظ بالأصل صعب القراءة بسبب طمسه ، والقراءة اجتهادية.
(٣) فى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١٣٧) : أبوبكر الطراس ، وأنه كان يدير طاحونا ، وقد احترقت الطاحون أثناء القتال ، حرقها خصوم افرنج أحمد وأيوب بك .
(٤) بالأصل : وتشتت .
(٥) اللفظ صعب القراءة بالأصل بسبب طمسه ، والقراءة اجتهادية.

العزب ، لنستريح من المتاعب والكرب ، فركب الإثنان حتى وصلا وهما يقولان: توكلنا على الله ، وأخبرا الاختيارية بما جرى ، فقالوا: تخبر الأغاوات والأمرا . وأما الجاويش خرج منكدا فأخبرهم ، وقال : لم أقدر عليه أبدا ، وقد لحق بباب العزب مع نسيبه ، وهكذا يفعل الحبيب مع حبيبه، فلما لم يتمكنوا من قتله // اتفقوا جميعاً على نفيه ، فأخبروا الأمراء بذلك ، وأخذوا ٨٦
بيرديا على ذلك ، ونزلوه قبيل الغروب إلى مصر العتيقة ، وضمنوه جماعة العزب وكتبوا وثيقة ، فبات ليلته ببيت التكلى ، وهو يتوسل بكل نبي وولي، وعنده العساكر والجنود لحفظه من الأعادى والحسود أن يهجموا عليه ليلاً ، ويصولوا عليه صولاً .

ولما أصبح الله الصباح ، وأضاء بنوره ولاح ، أتوا إليه بالمراكب ، وودعه الإخوان والحبايب ، وسار إلى بلاده مع العيوم[١] ، متوكلاً على الإله الحق القيوم .

ثم إن الأمراء وأغاوات البلكات اتفقوا جميعاً، على من كان سبباً لهذه الفتنة وإخراجه سريعاً ، فنفى كل أغا جماعة من بلكه،وأخرجه من أسامه[٢] وملكه ، لتسكين الفتن وأمن السبيل ، وتسليك القرى ووعظ النبيل[٣] .

وأيضاً اتفقوا على نفي من أفتى من أهل العلم والتدريس والإفتاء ، وأخذوا بيرديا وأرسلوا المنادى [إلى] الجامع الأزهر فنادى : إن من أفتى لطائفة الينشرية بغير الشرع ينفى ، ومن تمادى إلى ثلاثة أيام ليس له إلا الحسام

فمن انتفى // من السادة الحنفية : الشيخ أحمد أفندى شيخ الطائفة ٨٧
الرومية[٤] ؛ والشيخ أحمد المرشدى ؛ والشيخ أحمد الوسيمى .

ومن السادة المالكية : الشيخ أحمد الشرفي شيخ المغاربة ، والشيخ عبد الباقي القليني ؛ ولم يخرج من مكانه واختفى في بيته أياماً فمرض في تلك المدة ، وتوفي إلى رحمة الله يوم الثلاثاء ثامن عشر رجب من السنة المذكورة .

(١) هكذا بالأصل : واللفظ غامض المعنى .
(٢) اى أخرجه من أوجاقه .
(٣) هكذا بالأصل ، والعبارة غامضة المعنى .
(٤) شيخ الطائفة الرومية ، اى شيخ طائفة الأتراك العثمانيين .

ومن السادة الشافعية : الشيخ العلامة الشيخ عبده الديوى ؛ والشيخ العلامة الشيخ عبد الوهاب الشنواني[١] ، والشيخ الإمام الشيخ على أبو الصفا ، والشيخ العلامة الشيخ يونس الدمرداشي ، والشيخ العلامة الشيخ عبد المعطى السملاوى ، والشيخ ابن عاشور الشامي .

ومن السادة الحنبلية : الشيخ العلامة أحمد المقدسى . ومن أتباع المشايخ كثير ، وخلا الجلا من دروسهم من برجسة شقيهم ومعكوسهم وصار كربع خلا من الحبايب ، وذلك من أعظم المصايب .

هذا وأرجو[٢] الله في ردهم علينا ، وحفظ علمائنا علينا ، الحافظين
٨٨ للكتاب والسنن ، العارفين بالقبيح// والحسن ، لا زالت الأيام بحياتهم منورة ، وأغصان العلوم بدروسهم مثمرة ، ومن نفاهم وفعل بهم ما وقع ، فالله يجزيه بما صنع .

وأيضاً نادى الأمير على أغا على ترك ركوب البغال ، فصار من يركبهم في هموم واشتغال ، وكان إذذاك يركبون غالب العلما ، ويعدونها من الله نعما ، فامتنع البعض من الركوب ، فالله يكشف هذه الكروب .

ونادى على تبييض المساجد والمنارات والأسبلة والمكاتب والزوايات[٣] وقطع أرض السكك والطرقات[٤] ، فامتثل الناس جميع ذلك ، خوفاً من الوقوع في المهالك .

وأما الأمير محمد بيك أمير الصعيد ، لما رأى لهيب النار من بعيد وخاف الضياع ، نزل إلى المنية[٥] ومنفلوط ، فجمع الرجال وسار بهم إلى أسيوط ،

---

(١) بالأصل : السوانى . والتصويب من الجبرتى (جـ ١ ص ١٦٦) .

(٢) بالأصل : وارجوا .

(٣) هكذا بالأصل ، وصحتها : الزوايا ، جمع زاوية ، وقد استعمل المؤلف لفظه تمشيا مع السجع .

(٤) يقصد المؤلف رفع المتاريس والانقاض من الشوارع . فقد ذكر الجبرتى (جـ ١ ص ٤٦) أنه بعد أن قبض الأمراء على الباشا « ركب على اغا وأمامه الملازمون بالبيرشان ، فطاف البلد وأمر بتنظيف الأتربة وأحجار المتاريس وبناء النقوب » .

(٥) هى المدينة المعروفة بالوجه القبلى ، وتكتب حديثا « المنيا » .

وأقام بهم وهيأ آلات الحرب ، وشد نفسه للقتال والضرب وتحصن غاية التحصين ، وتمكن من البلاد غاية التمكين ، وصحبته يوسف أبو حمد شيخ
٨٩ هوارة ، وخلائق كثيرة من عربان وأمارة ، وجلس // جماعة في محل على البحر ، يمنعون المراكب الحادرة إلى مصر ، وأمر بتحويل الغلال ، إلى مطامير كانت في الجبال ، وأرسل مكتوباً إلى الأمراء : إنكم تسامحون [في] ما قد جرى وترسلوا التقرير والقفطان[١]، وتبقوا ما كان على ما كان ، ونحن نرسل لكم غلال الشون ، وهى عندنا في الحرز والصون[٢] .

فلما سمع الأمراء ذلك الكلام ، فبعضهم استصوبه وترك الخصام ، وبعضهم قال : لابد من إرسال التجاريد ، وإخراجه وطرده من الصعيد ، فاتفقوا جميعاً على قتاله ، وإخراجه من دياره وأمواله ، وولوا الأمير محمد بيك[٣] إمارة الصعيد ، وأرسلوا معه كل بطل وصنديد ؛ وأيضاً معه الأمير حسن[٤] ، لأجل عمارة المساكن والوطن ، فخرج إليه بخمسمائة بطل ، ومعهم المدافع والجلل ، فلما علم[٥] أنهم جردوا عليه ، خرج سريعاً مبادراً إليه ، وصحبته ما يزيد عن عشرة ألف خيال ، وجلسوا على رءوس الجبال ، وأرسلوا[٦] مكتوباً إليه ، إن أتيت بالسلطان حسن فأنت غالب ، وإلاّ
٩٠ فارجع بعسكرك//ولا تحارب . فلما وصل إليه الكتاب، فلم يرد له جواب ، وسار بعسكره إليه ، حتى قارب الدخول عليه ، فلما صار بينهما قدر أربعة أميال ، دبر كل منهما أمر الحرب والقتال ، فلما تم لهما ذلك ، خرجا من جميع المسالك ، وضربوا المدافع والبندقيات ، حتى أظلمت الأرض والطرقات

---

(١) اى تقرير بتجديد ولايته على جرجا ، وأما القفطان فهو من مظاهر اتمام الولاية .

(٢) من هذه المعلومات ، تتبين قوة حاكم الصعيد وخطورة منصبه ، ففى استطاعته — اذا اختلف مع الحكام فى القاهرة — أن يمنع الغلال عن القاهرة ويهددها بالمجاعة .

(٣) هو الأمير محمد بك تابع الأمير قيطاس بك .

(٤) هو الأمير حسن حاكم اخميم .

(٥) أى محمد بك أمير الصعيد .

(٦) المراد أن الأمير محمد بك تابع الأمير قيطاس بك والأمير حسن ارسلا الى محمد بك أمير الصعيد خطابا .

ثم إن الأمير محمد بيك الصغير ، اتفق رأيه على إرسال الأمير(١) ،
بجماعة في المراكب إليه ، فنزلوا سريعاً وهجموا عليه ، فاشتغل بهم غاية
الاشتغال ، وصار منهم في أسوإ حال ، وأخذوا مدافعه جميعاً ، وأطلقوها(٢)
عليه سريعاً ، فتشتت(٣) تلك الجموع ، وهربت جميع النجوع ، فما ساعه
إلاّ الخروج إلى الواحات ، وخرج هائماً في البر والساحات ، ولم يدر أحد أين
ذهب(٤) ، ولم يتبعه إلا الأمير يوسف والقليل من العرب ، ورجعوا الكل
إلى الأمير وأخذوا الأمان ، فأمنهم على الأولاد والأوطان ، ودخل الأمير
محمد بيك الصغير إلى أسيوط وتمكن ، وكذلك الأمير // حسن إلى بلاده ٩١
وتوطن(٥) ، وأرسل مكتوباً بأخذ الغلال ، وكانت ليلة وصوله تعدبليال ، من
الفرج الذى حل بالفقرا ، وجميع الأغاوات والأمرا .

ثم جاءت لنا المكاتيب بالأخبار ، بتولية الوزير على الديار(٦) ، وهو

---

(١) المقصود به الأمير حسن حاكم اخميم .

(٢) بالأصل : واطلقوه .

(٣) بالأصل : فشتت .

(٤) فى الجبرتى (جـ ١ ص ٤٧) أن محمد بك لما رأى الهزيمة هرب الى حلب ومنها الى اسلامبول ، واتصل بالأمير أيوب بك ومن معه ، وقابل الوزير العثمانى ، فخلع عليه الوزير وولاه منصبا . وفى « تاريخ وقائع مصر » (ص ١٧٥ ، ١٧٦) أن الوزير خلع عليه قفطان الباشوية « واقام يأكل عيشه فى مناصب بلاد الروم » .

(٥) أى الى اخميم التى كان حاكما عليها قبل الفتنة .

(٦) عزل خليل باشا وخرج من مصر فى ١٨ جمادى الأولى سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م) . (الجبرتى ، جـ ١ ص ٤٧) . وقد هجاه الشاعر الشيخ حسن البدرى الحجازى بقوله :

خليل باشا خاب مصرنا أتى ... ماكر سوء حائق بنفسه
أثار فى عسكرنا نائرة ... تاريخها أضرها بطمسه
أعنى على أفكارهم ألقى عمى ... كل غدا منه رهين عكسه
... فليتهم تفطنوا لمكره ... وقطعوه قبل سكنى رمسه
واتبعوه لعنة وافرة ... عدة طاهر الورى ورجسه
. . . .
لا تنكرن من ذلك الباشا الردى ... خبيث فعله وسوء حدسه
لأنه أعور قليط كذا ... أعرج نكر شائع فى جنسه
فربنا من مصر لا يخرجه ... الا قتيلا ذاهبا كأمسه
(الجبرتى جـ ١ ص ٩٦) .

الوزير ولى باشا[١] ، أعطاه الإله ماشا[٢] ، لأن جميع الأمراء كتبوا عرضاً إلى السلطان الأعظم ، والخاقان الأفخم الأكرم ، الملك الغازى المؤيد ، مولانا السلطان أحمد[٣] ، ليعلمه بما جرى وما كان ، وكتب عليه جميع مشايخ الإسلام ، وأهل المناصب والأقلام ، فتنكد السلطان غاية النكد ، ولكنه أظهر الصبر والجلد ، وكان إذ ذاك مشغولاً بأمر الغزاة[٤] ، فرفع اليدين وسأل الإله ، بالإصلاح بين المسلمين ، والنصر على القوم الكافرين ، فاستجاب الله دعاءه سريعاً ، ونصره الله نصراً عزيزاً منيعاً ، حتى قيل لم يحصل لأحد من السلاطين مثل هذا النصر ، ولم يسمح الزمان بظفر مثل هذا الظفر ، جعل الله أيامه سعيدة ، وأحكامه نافذة سديدة ، وألهمه العدل والحلم// والإنصاف ، وجنبه الظلم والجور والإجحاف . ٩٢

وليكن هذا آخر ما أردنا ، وإتمام ما قصدنا ، من ذكر ما وقع بين عسكر المحروسة القاهرة ، جعلها الله آمنة وعامرة ، وعلقت ذلك لمن يكون عنده شمم وفخرة ، ويتفكر في هؤلاء الأمرا ، كيف أصبحوا في القبور فقرا ، قال ذلك بلسانه الحقير في عيون القرا ، الفقير على الشاذلى الفرا ، غفر الله له ولوالديه ، ولمن أحسن إليهما وإليه ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين آمين .

---

(١) ولى باشا : ذكره الجبرتى (جـ ١ ص ٤٧) والى باشا ، وانه وصل الى القاهرة وطلع القلعة فى أواخر رجب سنة ١١٢٣ هـ (اغسطس ١٧١١ م) .

(٢) ماشا : هكذا بالأصل ، وأصل اللفظ ما شاء ، وقد حذف المؤلف الهمزة تمشيا مع السجع .

(٣) هو السلطان أحمد الثالث بن السلطان محمد الرابع . وقد ولى السلطنة بعد أخيه مصطفى خان الثانى فى شهر ربيع الثانى سنة ١١١٥ هـ (اغسطس ١٧٠٣ م) . (التوفيقات الالهامية ، ص ٥٥٨) .

(٤) كان السلطان أحمد مشغولا بالحرب مع روسيا . (التوفيقات الالهامية ، ص ٥٦٢) .

المراجـــع

١ ــ أحمد عزت عبد الكريم (الدكتور)

حوادث دمشق اليومية (القاهرة ١٩٥٩) .

٢ ــ أمين خورى :

قاموس رفيق عثماني . (بيروت : مطبعة الآداب) .

٣ ــ الجبرتي : عبد الرحمن بن حسن .

عجائب الآثار في التراجم والأخبار . (طبعة بولاق) .

٤ ــ ابن الجوزى : عبد الرحمن بن على بن محمد :

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (طبعة الهند سنة ١٣٥٨ هـ) .

٥ ــ الشرقاوى : الشيخ عبد الله .

تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين . (مطبوع بهامش الجزء الأول من كتاب فتوح الشام للواقدى . طبعة المطبعة العثمانية بالقاهرة ، سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م) .

٦ ــ على مبارك باشا :

الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة (مطبعة بولاق سنة ١٣٠٦ هـ) .

غربال : محمد شفيق .

مقال بعنوان : « مصر عند مفترق الطرق » منشور بمجلة كلية الآداب (الجامعة المصرية) . المجلد الرابع : الجزء الأول : مايو ١٩٣٦

٧ ــ القلقشندى : أبو العباس أحمد .

صبح الأعشى في صناعة الإنشا (المطبعة الأميرية سنة ١٩١٣ ــ ١٩١٥ القاهرة) .

٨ ــ محمد مختار باشا :

كتاب التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية (المطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣١١ هجرية) .

٩ ــ محمد موسى هنداوى : (الدكتور)

المعجم في اللغة الفارسية (مطبعة مصر) .

١٠ ــ محمود فهمى المهندس :

البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر (الطبعة الأولى . المطبعة الأميرية ببولاق ، سنة ١٣١٢ هـ) .

١١ ــ مصطفى بن الحاج إبراهيم :

تاريخ وقائع مصر من سنة ١١٠٠ إلى ١١٥٢ هـ (مخطوط بالخزانة التيمورية ، رقم : ١٤٠٢ تاريخ) .

١٢ ــ المقريزى : تقى الدين أحمد بن على .

كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك (تحقيق الدكتور محمد مصطفى زيادة . مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة سنة ١٩٣٤) .